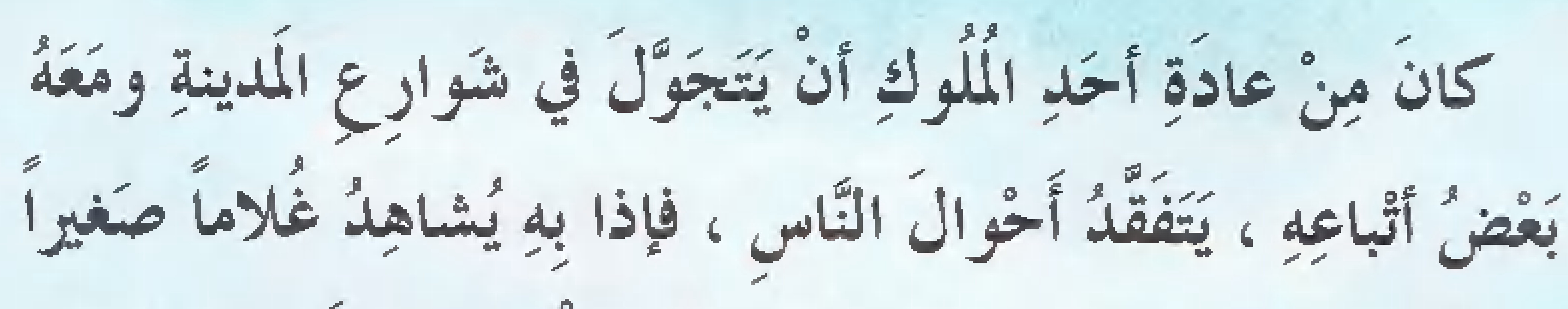

قصص تربوية للأطفال
حِكايات وعِبَر
RABIE

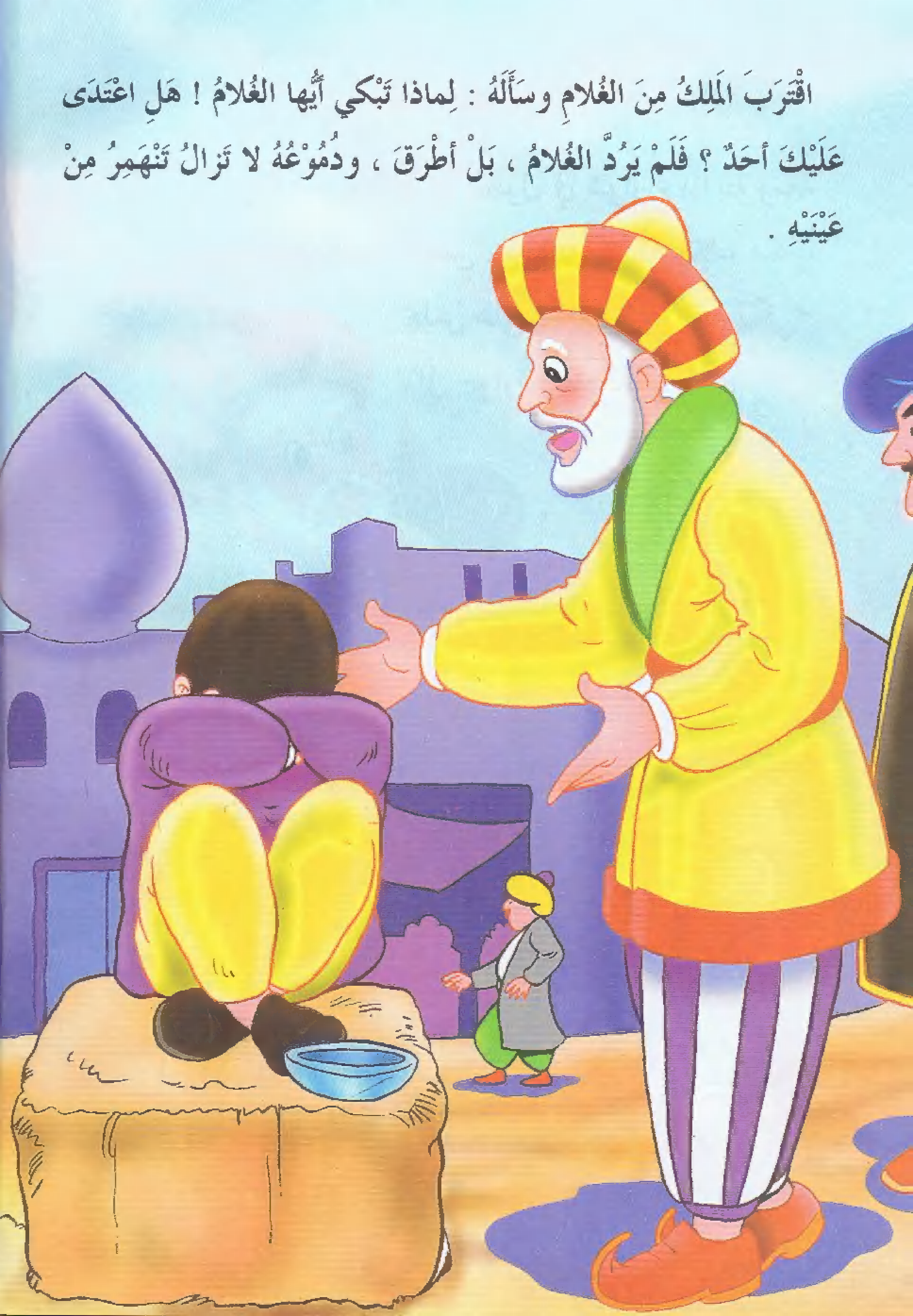


الملك العادل



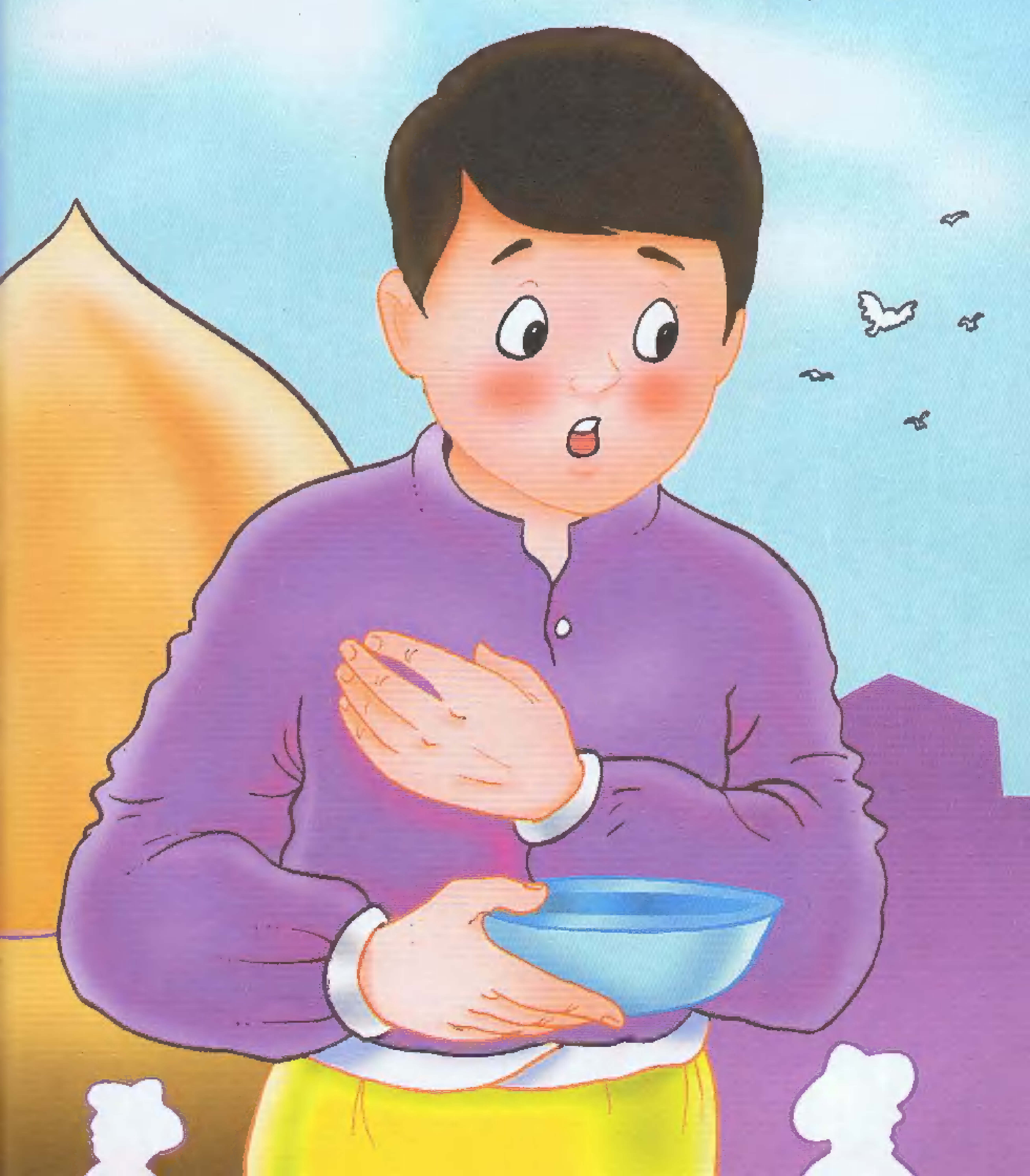
كانَ مِنْ عادَةِ أحَدِ المُلُوكِ أنْ يَتَجَوَّلَ في شَوارِعِ المَدينةِ ومَعَهُ بَعْضُ أتْباعِهِ ، يَتَفَقَّدُ أَحْوالَ النَّاسِ ، فإذا بِهِ يُشاهِدُ غُلاماً صَغيراً يجلِسُ على قِطْعةٍ من الحَجَرِ ويَبْكي ، وإلى جِوارِهِ وِعاءٌ فارِغٌ .

اقْتَرَبَ المَلِكُ مِنَ الغُلامِ وسَأَلَهُ : لِماذا تَبْكي أَيُّها الغُلامُ ! هَلِ اعْتَدَى عَلَيْكَ أحَدٌ ؟ فَلَمْ يَرُدَّ الغُلامُ ، بَلْ أطْرَقَ ، ودُمُوعُهُ لا تَزالُ تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ .



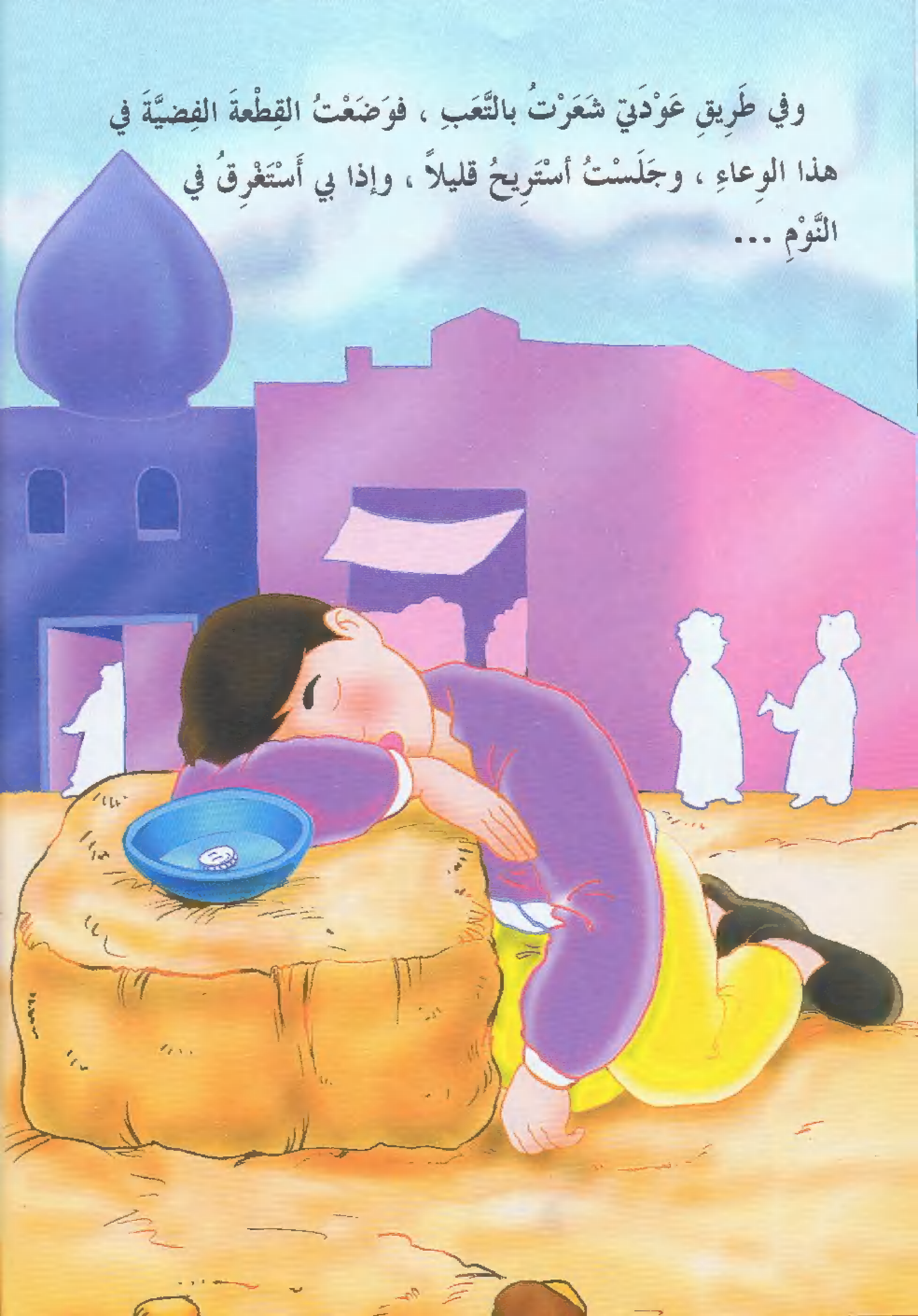

تَعَجَّبَ المَلِكُ مِنْ أَمْرِ هذا الغُلامِ ، وقالَ لَهُ
مُلاطِفاً : إنَّني المَلِكُ أَيُّها الغُلامُ ، هاتِ ،
حَدِّثْني بِقصَّتِكَ ، فأنا أسْتَطيعُ أنْ
أقضيَ حاجَتَكَ وأُساعِدَكَ على
ماينُوبُكَ .

فكَفْكَفَ الغُلامُ دُمُوْعَهُ ، وقالَ للمَلِكِ بَعْدَ أنْ قامَ احْتِراماً لَهُ : إنَّ أُمِّي يا سَيِّدي أرْسَلَتْني في هَذا الصَّباحِ ، ومَعِي هذا الوِعاءُ ، وكانَ مَمْلُوءاً بالزُّبْدَةِ ...

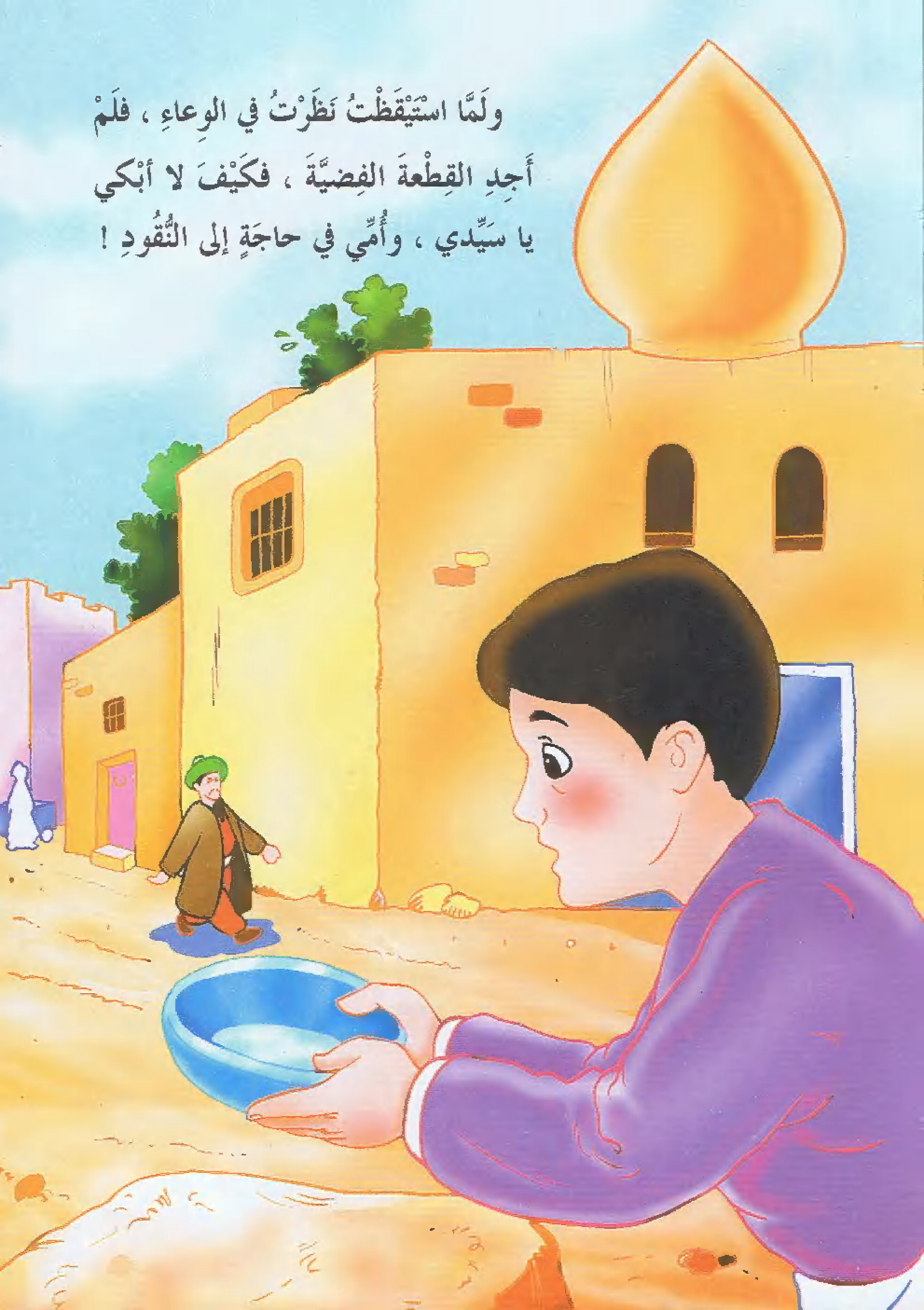


وأوْصَتْني أنْ أَذْهَبَ إلى السُّوقِ لأَبِيعَ ما فِيْهِ . فامْتَثَلْتُ أَمْرَ وَالِدتي ،
وبِعْتُ الزُّبْدَة بِقطْعةٍ مِنَ الفِضَّةِ ، ثُمَّ هَمَمْتُ بالعَوْدَةِ فَرِحاً ...

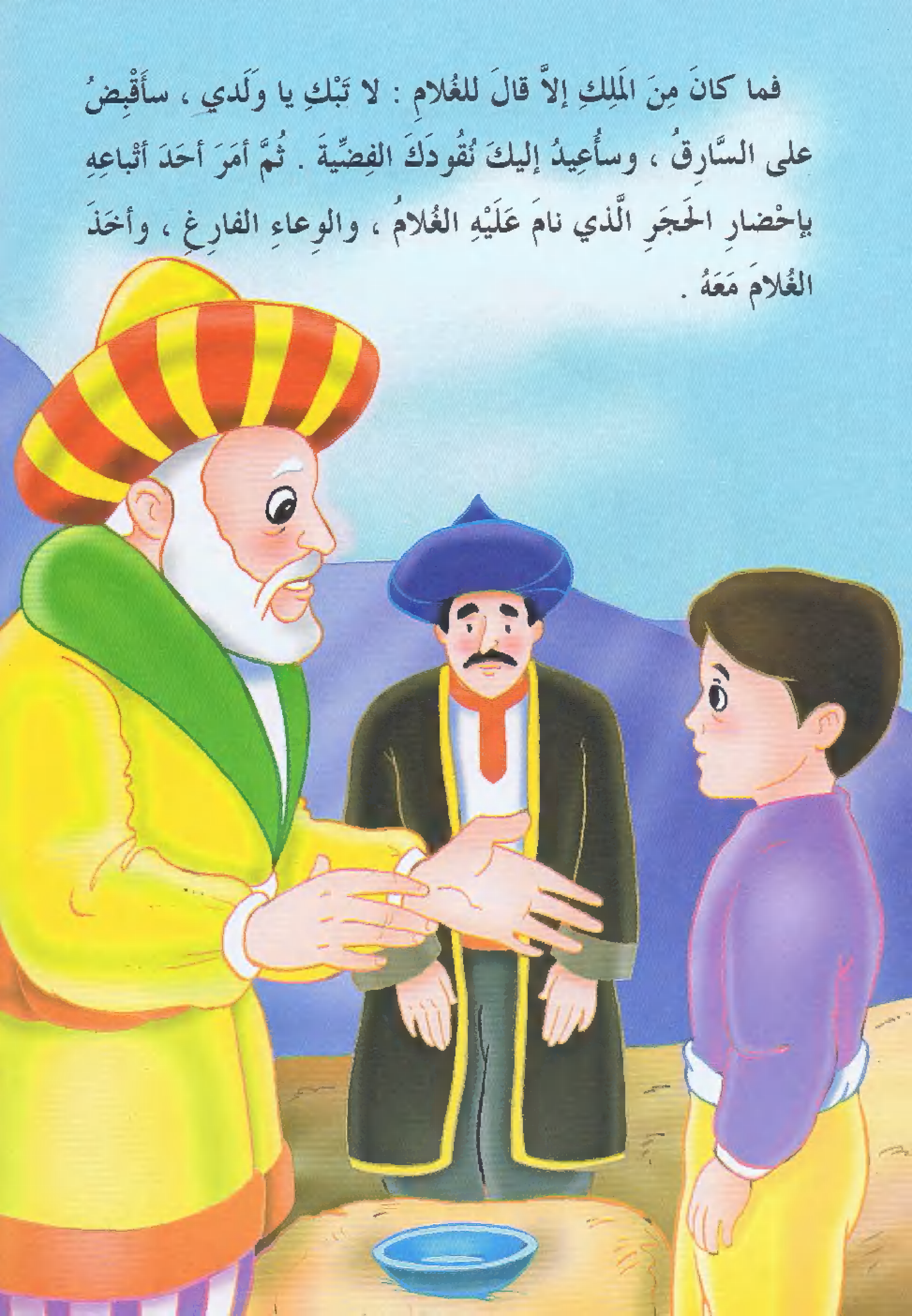




وفي طَرِيقِ عَوْدَتِي شعَرْتُ بالتَّعَبِ ، فوَضعْتُ القِطْعةَ الفِضيَّةَ في هذا الوِعاءِ ، وجَلَسْتُ أسْتَرِيحُ قليلاً ، وإذا بي أَسْتَغْرِقُ في النَّوْمِ ...

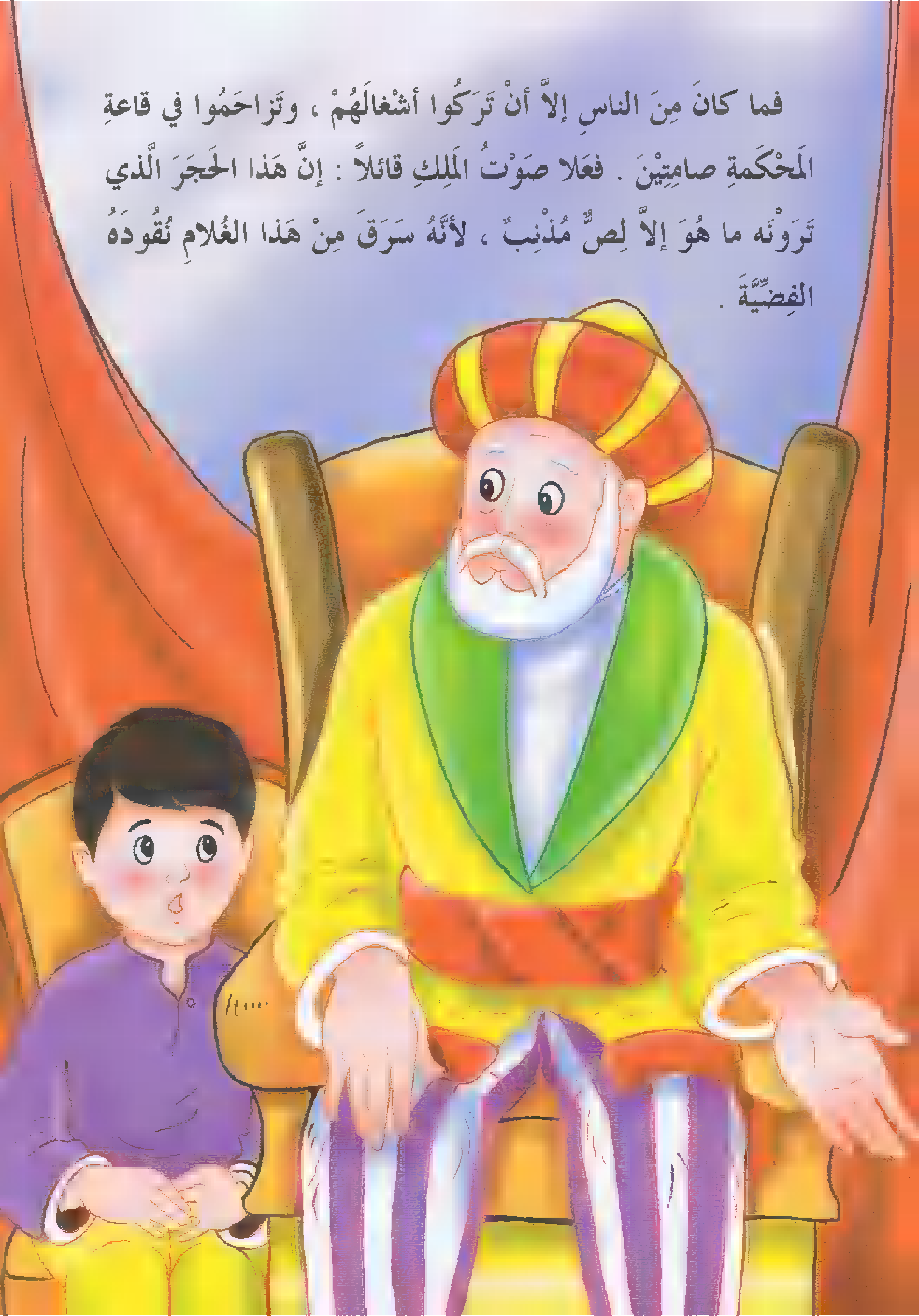

وَلَمَّا استَيْقَظْتُ نَظَرْتُ في الوِعاءِ ، فلَمْ
أَجِدِ القِطْعةَ الفِضيَّةَ ، فكَيْفَ لا أبْكي
يا سَيِّدي ، وأُمِّي في حاجَةٍ إلى النُّقُودِ !

فما كانَ مِنَ المَلِكِ إلاَّ قالَ للغُلامِ : لا تَبْكِ يا وَلَدي ، سأَقْبِضُ على السَّارِقُ ، وسأُعِيدُ إليكَ نُقودَكَ الفِضِّيةَ . ثُمَّ أمَرَ أحَدَ أتْباعِهِ بإحْضارِ الحَجَرِ الَّذي نامَ عَلَيْهِ الغُلامُ ، والوِعاءِ الفارِغِ ، وأخَذَ الغُلامَ مَعَهُ .



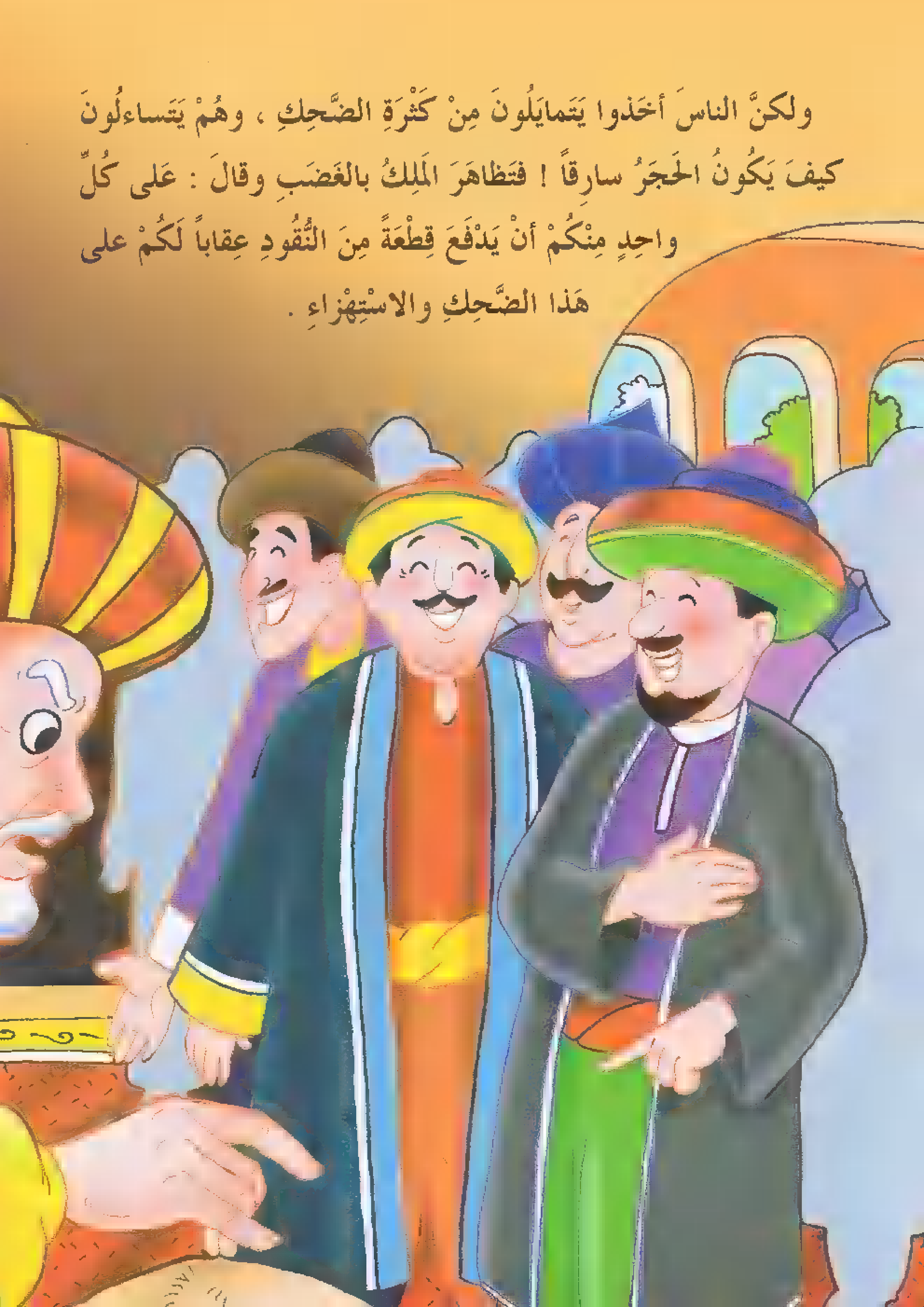
ثُمَّ بَعَثَ المَلِكُ مُنادِياً إلى المَدِينةِ ، يُبَلِّغُ الناسَ : هَلُمُّوا أيُّها الناسُ إلى المَحْكمةِ ، وانْظُروا كَيْفَ ستَجْرِي مُحاكَمَةُ الحَجَرِ السَّارِقِ .





فما كانَ مِنَ الناسِ إلاَّ أنْ تَرَكُوا أشْغالَهُمْ ، وتَزاحَمُوا في قاعةِ المَحْكَمةِ صامِتِيْنَ . فعَلا صَوْتُ المَلِكِ قائلاً : إنَّ هَذا الحَجَرَ الَّذي تَرَوْنَه ما هُوَ إلاَّ لِصٌّ مُذْنِبٌ ، لأَنَّهُ سَرَقَ مِنْ هَذا الغُلامِ نُقُودَهُ الفِضِّيَّةَ .

ولكنَّ الناسَ أخَذوا يَتمايَلُونَ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحِكِ ، وهُمْ يَتَساءلُونَ كيفَ يَكُونُ الحَجَرُ سارِقاً ! فتَظاهَرَ المَلِكُ بالغَضَبِ وقالَ : عَلى كُلِّ واحِدٍ مِنْكُمْ أنْ يَدْفَعَ قِطْعَةً مِنَ النُّقُودِ عِقاباً لَكُمْ على هَذا الضَّحِكِ والاسْتِهْزاءِ .



وأمَرَ حاجِبَهُ بحَمْلِ إناءٍ مَمْلُوءٍ بالماءِ ، فأخَذَ الناسُ يَمُرُّون أمامَ المَلِكِ ، ويَرْمي كُلٌّ مِنْهُمْ قِطْعةً مِنَ النُّقُودِ الفِضِّيَّةِ في الإناءِ .



إلا أن أحدَ الرِّجالِ لَمَّا وَضَعَ قِطعةَ النُّقُودِ الفِضِّيَّةِ طَفَا عَلَى سَطْحِ الماءِ شَيء مِنَ الدُّهْنِ ، فأمْسَكَ المَلِكُ بالرَّجُلِ وقالَ لَهُ : أنْتَ هُوَ السَّارِقُ !



فأَطْرَقَ الرَّجُلُ مُعْتَرِفاً بذَنْبِهِ ولكنَّ الناسَ رَاحُوا يَتَهامَسونَ مُتَعَجِّبِيْنَ : كَيْفَ اكْتَشَفَ المَلِكُ السَّارِقَ !



فابْتَسَمَ المَلِكُ وقالَ : لا تَعْجَبوا أيُّها الناسُ ، لأنَّ قِطْعَةَ النُّقُودِ الَّتي وَضَعَها هذا الرَّجُلُ في الإناءِ كانَتْ مُلَوَّثَةً بالزُّبْدَةِ ، فظَهَرَ أَثَرُ الدُّهْنِ على سَطْحِ الماءِ .



فَفَرِحَ الغُلامُ بِعَوْدَةِ نُقُودِهِ ، ورَجَعَ إلى أُمِّهِ مَسْروراً وهُوَ يَعْجَبُ مِنْ حِيْلَةِ المَلِكِ وذَكائِهِ .

الولد الذكي والطائر

كانَ لأَحَدِ تُجَّارِ البِحارِ سَفِينتانِ شِراعِيَّتانِ ، يَنْقُلُ عَلَيْهِما أَنْواعاً مُختَلِفةً مِنَ البَضائِعِ ، ويُرْسِلُهُما إلى جَميعِ الجِهاتِ ، ويَجْني مِنْ تِجارَتِهِ الرِّبْحَ الحَلالَ .





نَظَرَ التَّاجِرُ إلى وَلَدِهِ الصَّغيرِ بحَنانٍ غامِرٍ ، ولكنَّ ذِهْنَه كانَ مَشْغـولاً بالسَّـفِينَتَيْنِ المُبْحِرَتَيْنِ ، وهُوَ يأْمُلُ أنْ تَعُودا مِنْ رِحْلَتِهِما بثَرْوَةٍ كَبيرةٍ .

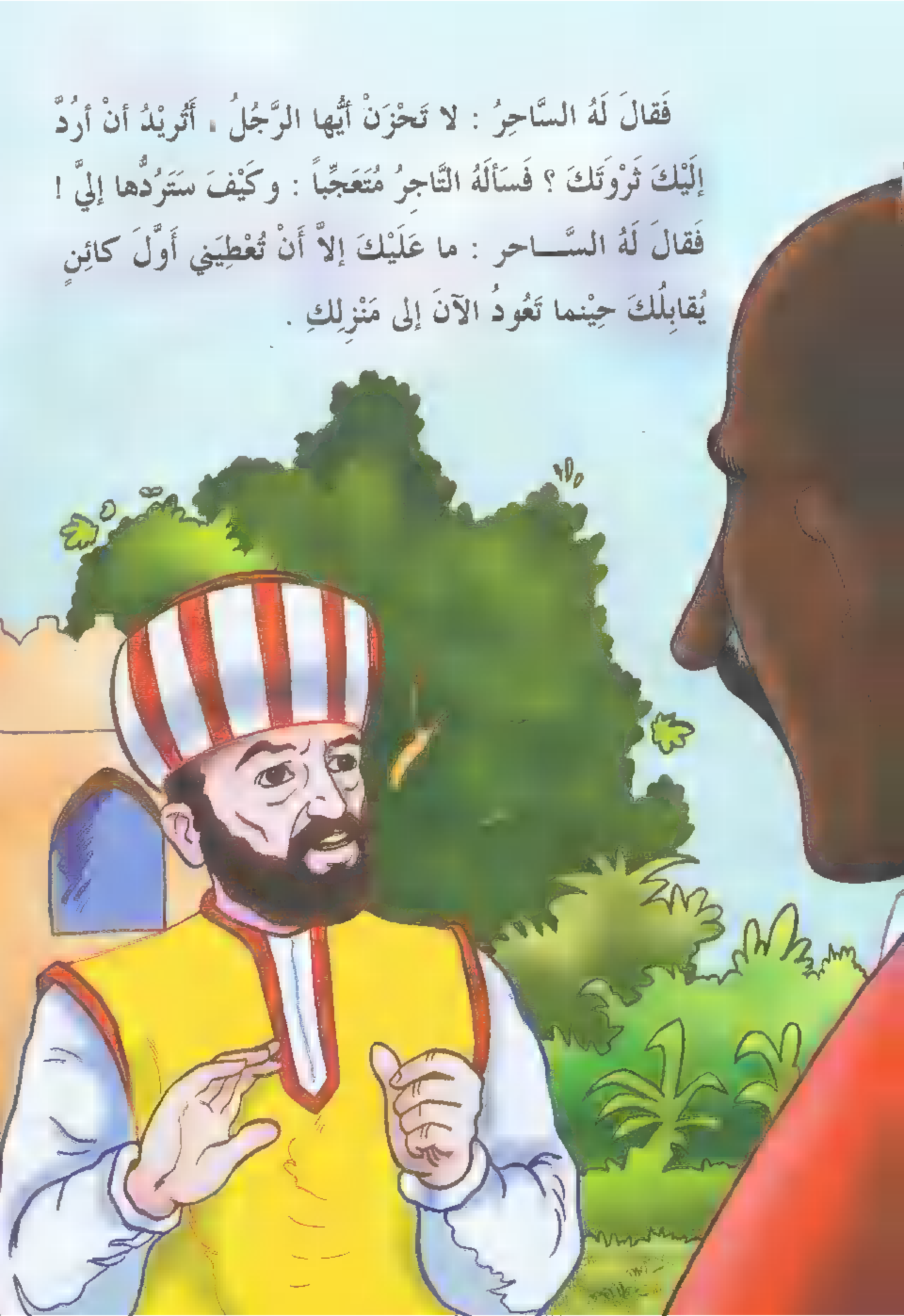


إلا أنَّ الرِّياحَ العاتِيةَ هَبَّتْ عَلَى السَّفِينَتَيْنِ فأغْرَقَتْهُما ، وابْتَلَعَتِ المِياهُ جَميعَ بَضائِعِ التَّاجِرِ ، فتَلاشَتْ آمالُهُ ، وأصْبَحَ مِنَ الفُقراءِ بَعْدَ أنْ كانَ مِنَ الأغْنِياءِ .



أَخَذَ التَّاجِرُ يَتَجَوَّلُ في حَدِيْقَةِ مَنْزِلِهِ حَزِيناً يائِساً ،
ويَتَذَكَّرُ أَيَّامَهُ الماضِيةَ ، وآمالَهُ الضَّائِعةَ .
وفَجْأَةً سَمِعَ صَوْتاً يُنادِيْهِ ، فتَلَفَّتَ حَوْلَه
لِيَعْرِفَ مَصْدَرَ الصَّوْتِ .

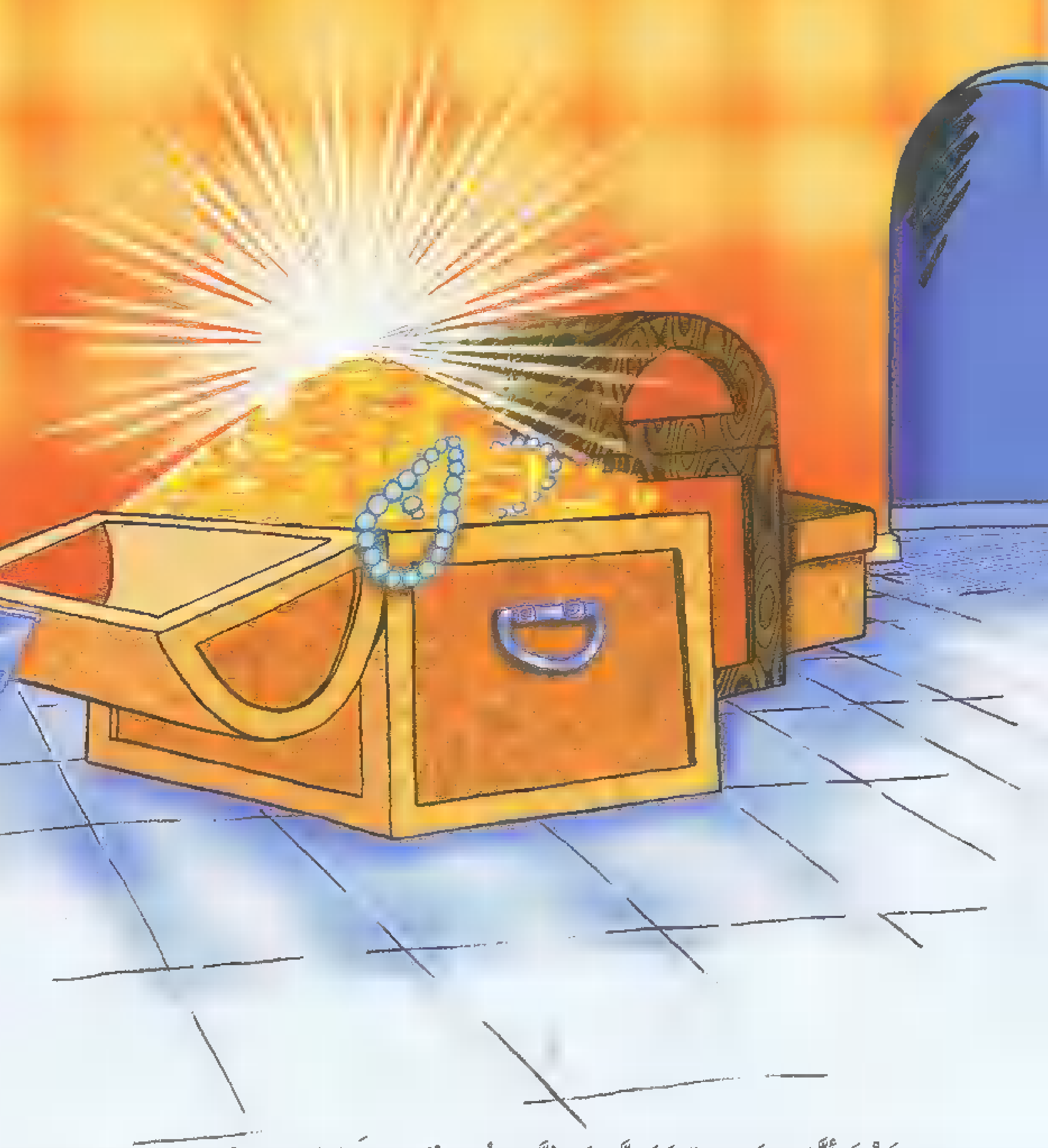

وإذا بِرَجُلٍ ساحِرٍ ، أَسْوَدِ اللَّوْنِ ، يَبْرُزُ أمامَهُ ويَسْأَلُهُ : لِماذا أَنْتَ
حَزِينٌ أيُّها الرَّجُلُ ؟ فأخْبَرَهُ التَّاجِرُ بالكارِثَةِ
الَّتي حَلَّتْ بِهِ .



فَقالَ لَهُ السَّاحِرُ : لا تَحْزَنْ أيُّها الرَّجُلُ ، أَتُرِيْدُ أنْ أرُدَّ إلَيْكَ ثَرْوَتَكَ ؟ فَسَأَلَهُ التَّاجِرُ مُتَعَجِّباً : وكَيْفَ سَتَرُدُّها إليَّ ! فَقالَ لَهُ السَّــاحر : ما عَلَيْكَ إلاَّ أَنْ تُعْطِيَني أَوَّلَ كائِنٍ يُقابِلُكَ حِيْنما تَعُودُ الآنَ إلى مَنْزِلِكِ .



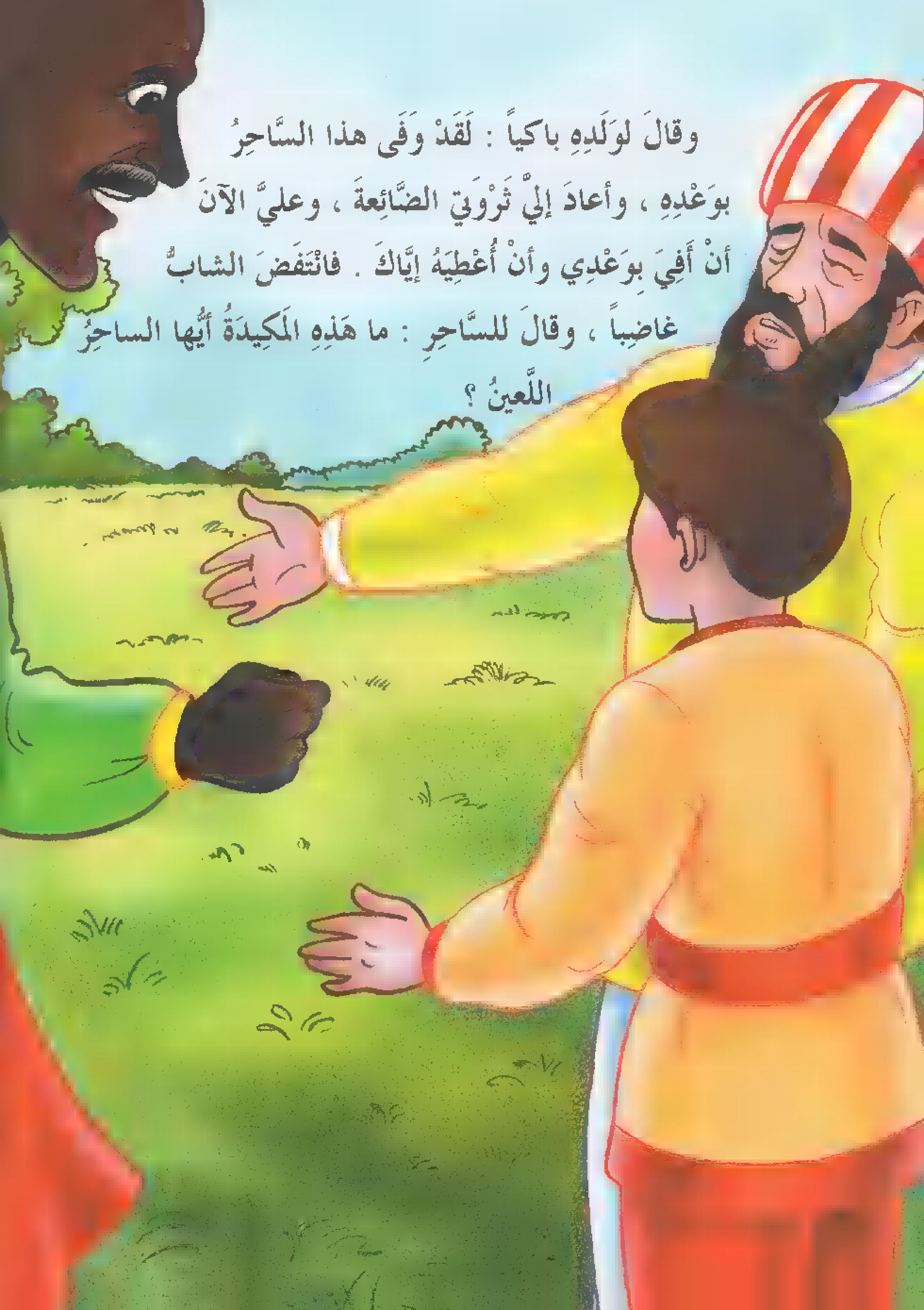
وَافَقَ التَّاجِرُ المِسْكِينُ ، ولَمْ يُفَكِّرْ أنَّ ابْنَهُ الصَّغِيرَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيُقابِلُهُ في المَنْزِلِ . ولكنَّهُ أَبْعَدَ هذَا الخاطِرَ عَنْ ذِهْنِهِ . وقالَ لنَفْسِهِ : لا شَكَّ في أنَّ السَّاحِرَ كانَ يَمْزَحُ .



وبَعْدَ أيَّامٍ عَديدةٍ تَعَجَّبَ التَّاجِرُ حِيْنَما وَجَدَ في مَنْزِلِهِ صَناديقَ يَلْتَمِعُ الذَّهَبُ في دَاخِلِها ، ففَرِحَ بِها ، وعادَ إلى التِّجارَةِ ، حتَّى صارَ مِنَ الأغْنياءِ ، وكأنَّهُ نَسِيَ الشَّرْطَ الذي شَرَطَهُ عَلَيْهِ السَّاحِرُ .
أمَّا ابْنُهُ فَقَدْ أصْبَحَ شَابًّا على قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الفُتُوَّةِ والذَّكاءِ .

وبَيْنما كانَ التَّاجرُ وابْنُهُ في الحَديقَةِ يَتَسامَرانِ ، إذْ فاجَأَهُما السَّاحِرُ بوَجْهِهِ المُخيفِ ، وقالَ للتَّاجرِ : أعْطِني ما اتَّفَقْنا عَلَيْهِ ، فصَرَخَ الشَّابُّ في دَهْشَةٍ : ماذا تُريدُ أيُّها الغريبُ ؟ أمَّا التاجِرُ فانْتابَهُ الجَزَعُ والاضْطِرابُ .



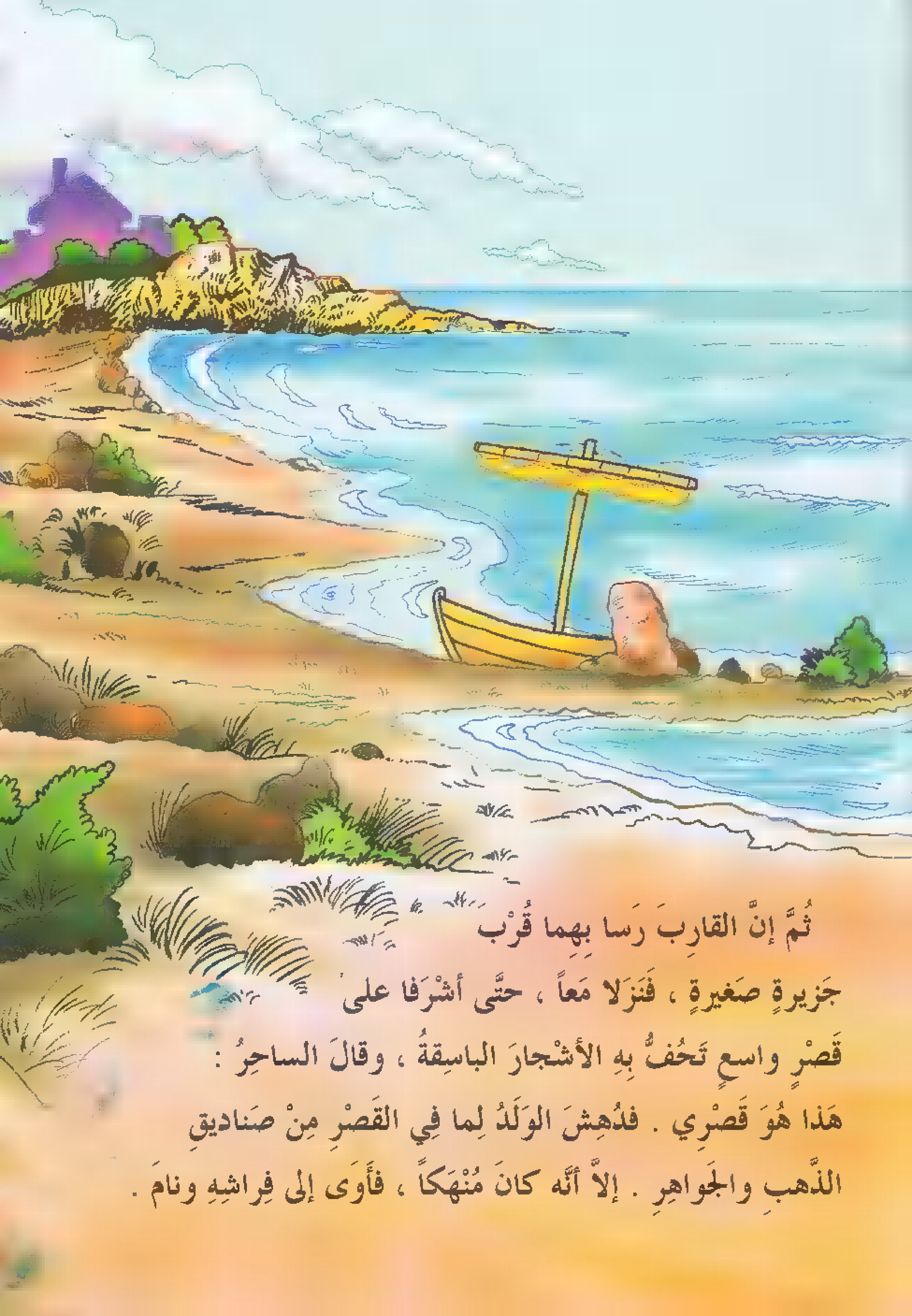

وقالَ لوَلَدِهِ باكياً : لَقَدْ وَفَى هذا السَّاحِرُ
بوَعْدِهِ ، وأعادَ إليَّ ثَرْوَتِي الضَّائِعة ، وعليَّ الآنَ
أنْ أَفِيَ بِوَعْدِي وأنْ أُعْطِيَهُ إيَّاكَ . فانْتَفَضَ الشابُّ
غاضِباً ، وقالَ للسَّاحِرِ : ما هَذِهِ المَكِيدَةُ أيُّها الساحِرُ
اللَّعينُ ؟



إلاَّ أنَّ الشابَّ الذكيَّ أذْعَنَ لَمشِيئةِ الساحِرِ ، وانْطَلَقَ مَعَهُ بَعْدَ أنْ وَدَّعَ أَباهُ ، حتَّى وصَلا إلى شاطِئِ البَحْرِ ، وهُناكَ رَكِبا قارِباً حَمَلَتْهُ الأمْواجُ بَعيداً عنِ المدِيْنَةِ .



قالَ الساحِرُ للوَلَدِ الشابِّ ، سَــتكُونُ أَنْتَ وَلَدي يا بُنيَّ ، وسَأَجْعَلُكَ غَنيًّا وأُعَلِّمُكَ كُلَّ شيءٍ . فتَظاهَرَ الوَلَدُ بالرِّضَى ، وقالَ : قُلْ لي يا أبي ، كيفَ أصْبَحْتَ ساحِراً ؟ فضَحِكَ السَّاحِرُ وأَجابَه : كُنْ مُطْمَئِنَّ البالِ ، غَداً ستَتَعَلَّمُ أُمُوراً لا يُعَلِّمُكَ إيَّاها أحَدٌ سِوايَ .



ثُمَّ إنَّ القارِبَ رَسا بِهِما قُرْبَ جَزيرةٍ صَغيرةٍ ، فَنَزَلا مَعاً ، حتَّى أشْرَفا على قَصْرٍ واسعٍ تَحُفُّ بِهِ الأشْجارَ الباسِقةُ ، وقالَ الساحِرُ : هَذا هُوَ قَصْرِي . فدُهِشَ الوَلَدُ لِما فِي القَصْرِ مِنْ صَناديقِ الذَّهبِ والجَواهِرِ . إلاَّ أنَّه كانَ مُنْهَكاً ، فأَوَى إلى فِراشِهِ ونامَ .

ولَمَّا أَقْبَلَ الصَّباحُ استَيْقَظا ، وتَناوَلا إفْطارَهُما مِنَ الأَطْعِمَةِ الشهيَّةِ ، ثُمَّ طافا في غُرَفِ القَصْرِ المَفْروشــةِ . فشــاهَدَ الوَلَدُ في إحْدى الغُرَفِ طائراً جَميلاً يُغَرِّدُ في قَفَصِهِ ، فسألَ الساحرَ : هل هذا الطائرُ هو سَبَبُ سِحْرِكَ ؟ فأجابَ الساحِرُ فَخُوراً : نَعَمْ يا بُنَيَّ ، وإذا فَقَدْتُ هذا الطَّائرَ تلاشى السِّحْرُ ، وانْقَلَبْتُ إنْساناً كَسائِرِ النَّاسِ .





ثُمَّ خرَجَ الساحِرُ لِيُحْضِرَ طَعاماً للطَّيْرِ ، فانْتَهزَ الوَلَدُ الفُرْصَةَ ، وفَتَحَ بابَ القَفَصِ . وإذا بالطَّائرِ يُصَفِّقُ بجَناحَيْهِ ويَطِيرُ بَعيداً . ولَمَّا رَجَعَ الساحِرُ شاهدَ الطَّائرَ حُرًّا في الفَضاءِ ، فصَرَخَ يائِساً : وَيْلِي ، لَقَدْ أصْبَحَ سِحْري باطِلاً . أمَّا الوَلَدُ فقَدْ أسْرَعَ إلى القارِبِ وانْطَلَقَ بَعيداً عَنِ الجَزيرةِ .

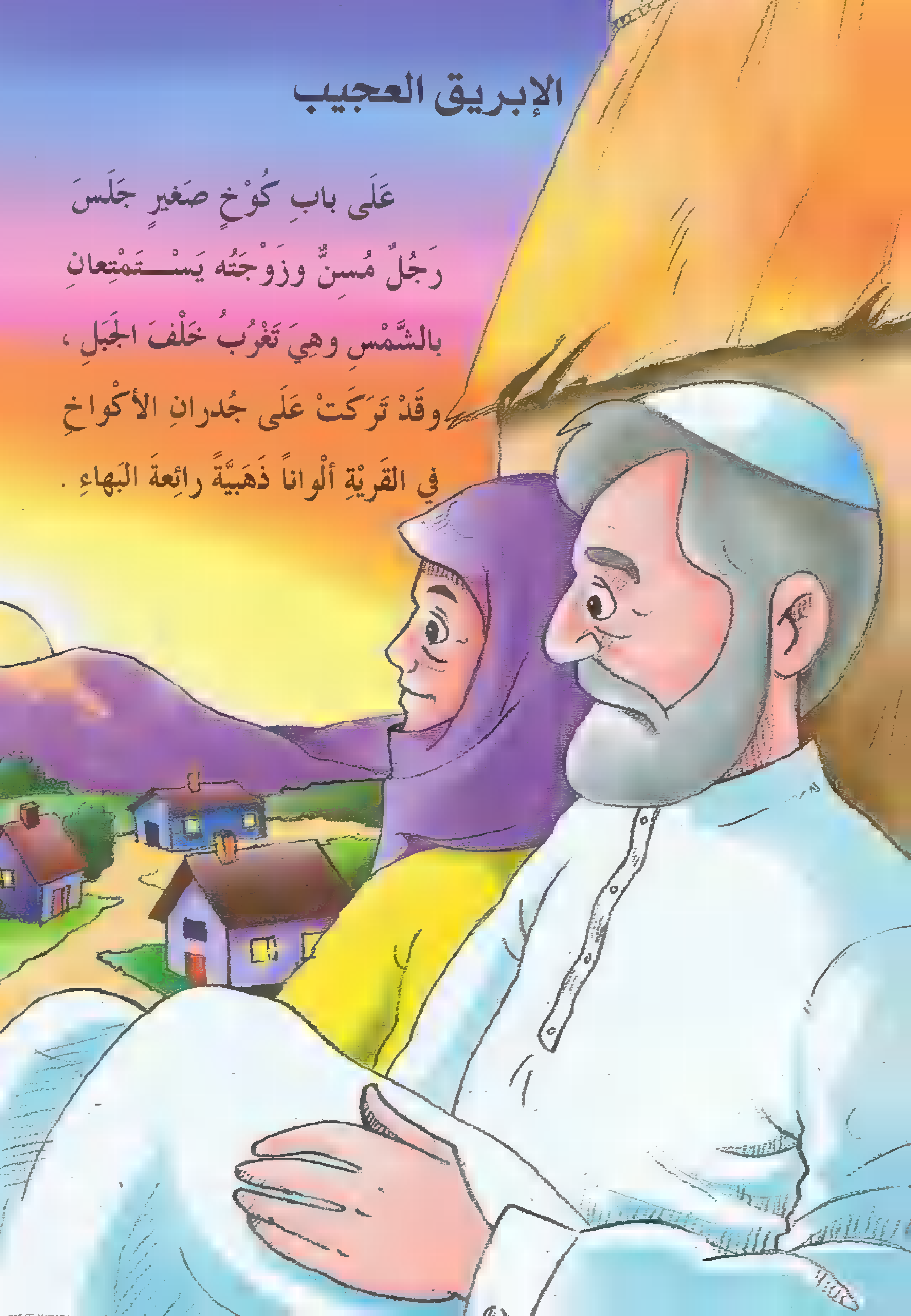


وما أَنْ وَصَلَ إلى مَنْزِله حتَّى سارَعَ أَبُوْهُ التاجِرُ يَسْتَقْبِلُهُ بفَرَحٍ وسُرُورٍ . وكأنَّه لا يُصَدِّقُ ما يَراهُ . فابْتَسَمَ الولدُ الذكيُّ ، وراحَ يَقُصُّ على والِدِهِ ما جَرَى لَهُ مِنْ أحْداثٍ .

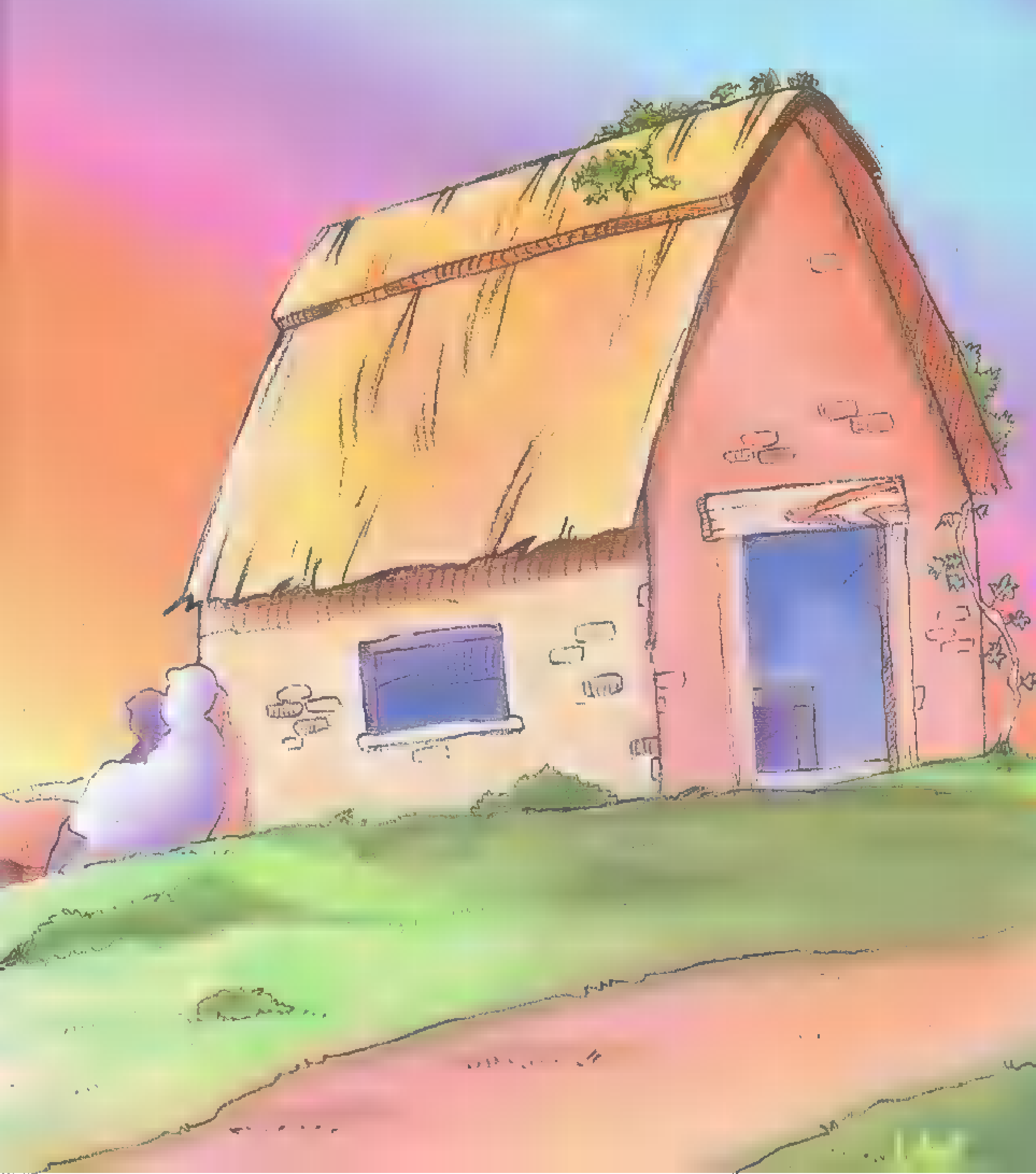
وعاشا معاً في هَناءةٍ وأمانٍ .

الإبريق العجيب

عَلَى بابِ كُوخٍ صَغيرٍ جَلَسَ رَجُلٌ مُسِنٌّ وزَوْجَتُه يَسْتَمْتِعانِ بالشَّمْسِ وهِيَ تَغْرُبُ خَلْفَ الجَبَلِ ، وقَدْ تَرَكَتْ عَلَى جُدرانِ الأكْواخِ في القَرْيَةِ ألْواناً ذَهَبيَّةً رائِعةَ البَهاءِ .



إلاَّ أنَّ هَذا الرَّجُلَ الفَقيرَ كانَ قَدْ بَنَى كُوخَهُ ، بمُساعَدةِ زَوْجَتِهِ ، بَعيداً عنْ أكواخِ القَريةِ ، وفَضَّلَ أن يَعيشَ حَياةً بَسيطةً سَعيدةً . لأنَّ أهْلَ القَرْيةِ كانوا أشْراراً قُساةَ القُلوبِ .



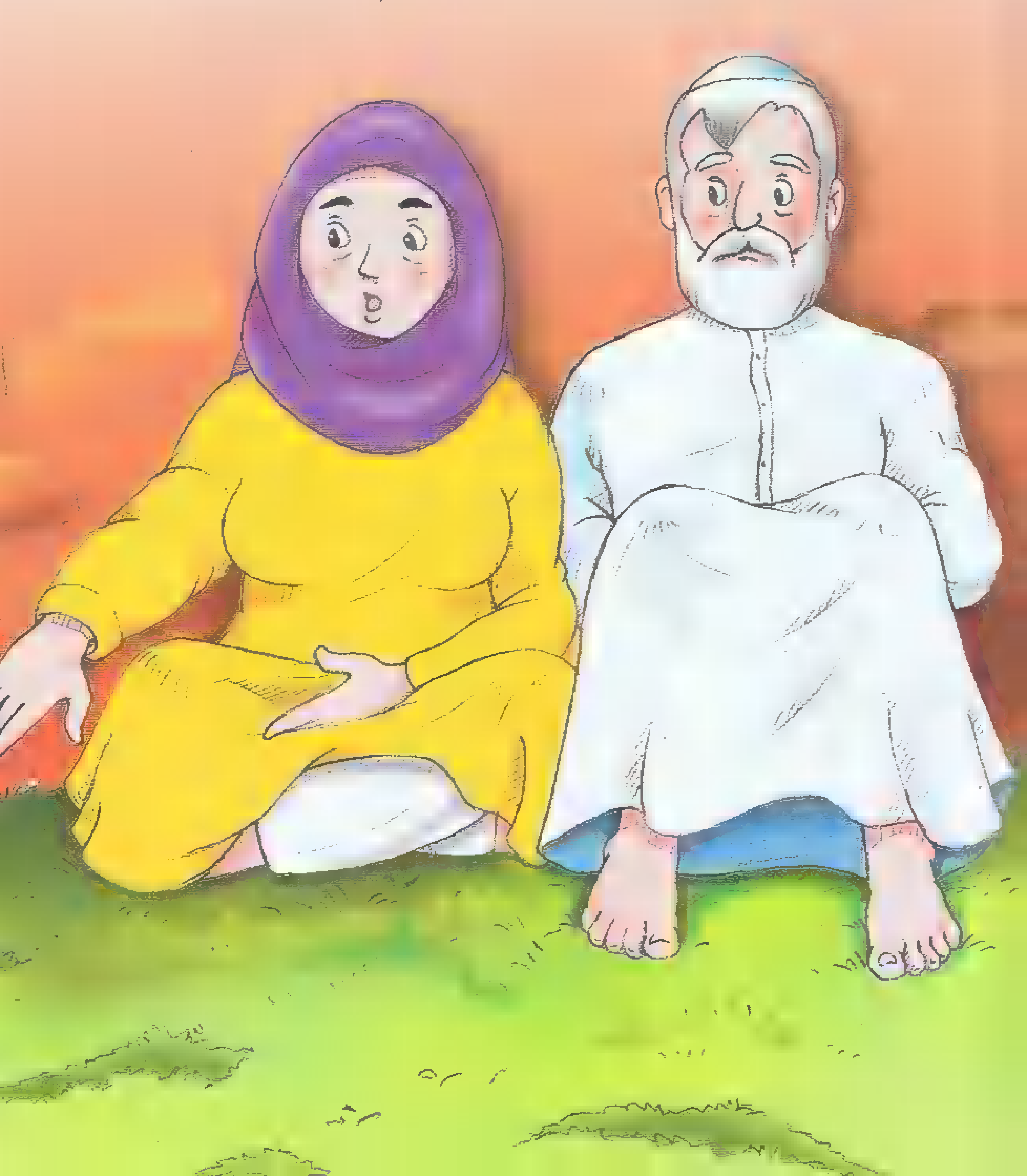


كانَ هذا الرَّجُلُ يَذْهَبُ إلى الغابةِ كُلَّ صَباحٍ ، ويَقْتَطِعُ الأشْجارَ اليابِسةَ . ثُمَّ يَعودُ إلى القَرْيةِ لِيَبيعَ الحَطَبَ ويَكْسِبَ رِزْقَهُ ورِزْقَ زَوْجَتِهِ حَلالاً طَيِّباً ، لأنَّهُ كانَ حَسَنَ المُعامَلَةِ ، كامِلَ التَّهْذيبِ لا يَعْرِفُ إلا الصِّدْقَ والاسْتِقامةَ .

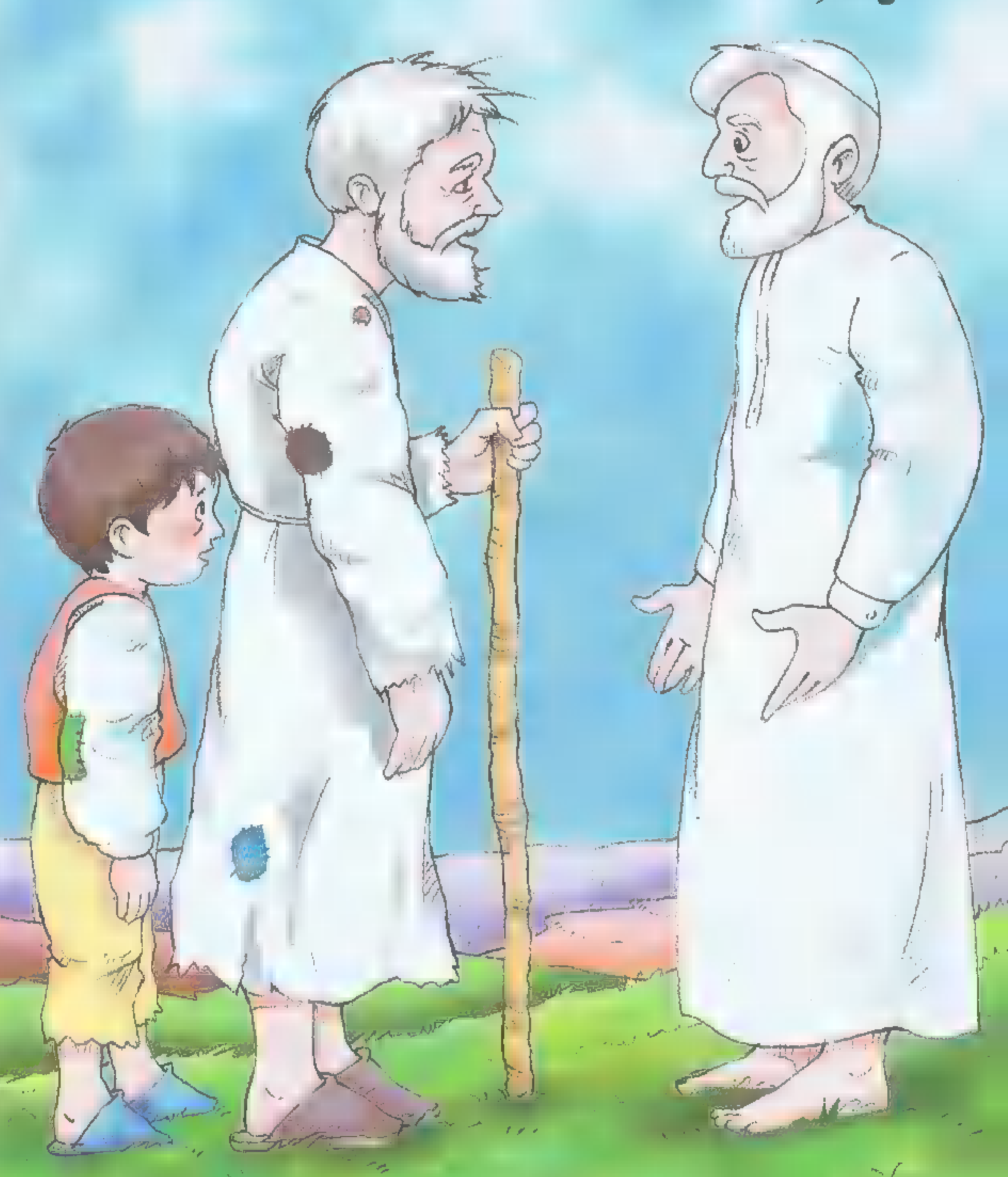


وبَيْنَما كانَ الرجُلُ مَعَ زَوْجَتِهِ أمامَ بابِ الكُوخِ ، يَستريحُ مِنْ عَناءِ العَمَلِ ، إذا بِهِ يَسْمَعُ ضَجَّةً قُرْبَ القَرْيَةِ ، ولَمَّا الْتَفَتَ إلى مَصْدَرِ الصَّوْتِ شاهَدَ رَجُلاً عَجُوزاً ، وخَلْفَهُ ابْنُه ، وأطْفالُ القَرْيَةِ الأشرارُ يَرْمونَهُما بالحِجارةِ ويَضْحَكُونَ .

تألَّمَتِ الزَّوْجةُ لِهذا الشَّيْخِ المُسِنِّ ، وقالَتْ لزَوْجِها : انْظُرْ إلَيْهِ كَيْفَ يُسْرِعُ هُوَ وابْنُه للتَّخَلُّصِ مِنْ أذَى الأوْلادِ الأشرارِ ، بَيْنما آباؤهُمْ لا يَرْدَعُونَهُمْ عَنْ هذا العمل الذَّمِيمِ !



فَهَبَّ الرَّجُلُ إلى هَذا الغَرِيبِ المِسْكينِ ، وقالَ لَهُ : حَيَّاكَ اللهُ أيُّها الغَريبُ ، هَلُمَّ إلى بَيْتي ، لتَسْتَرِيحَ وتَتَناوَلَ بَعْضَ الطَّعامِ ، وتُحَدِّثَني عَنْ نَفْسِكَ .



كانَ الأَوْلادُ الأَشْرارُ قَدِ ابْتَعدُوا عَنِ العَجُوزِ وابْنِهِ ، فقالَ وأَنْفاسُهُ تَتَلاحَقُ مِنَ التَّعَبِ : إِنَّني رَجُلٌ فقيرٌ بائِسٌ ، وهذا وَلَدي ، ولَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَنالَ شَيْئاً مِنَ الطَّعامِ ، وقَدْ رَأَيْتُمْ ما كانَ يَفْعَلُهُ بِنا هؤلاءِ الأَوْلادُ القُساةُ . ثُمَّ جَلَسَ أَمامَ بابِ الكُوخِ مُتْعَباً ، ووَلَدُهُ مُلْتَصِقٌ بِهِ .





وبَعْدَ أنْ خَفَّ تَعبُ العَجُوزِ
الْتَفَتَ إلى صاحِــبِ الكُوْخِ ،
وشَكَرَهُ ، ودَعا لَهُ أنْ يَمْنَحَه اللهُ
الأمْنَ والطُّمأْنِينَةَ . وفي هَــذِهِ
الأثْناءِ وَقَفَتِ الزَّوْجَةُ تَدْعُــو
الضَّيْفَيْنِ إلى طَعامِ العَشاءِ .



فدَخَلَ الجَميعُ الكُوخَ ، فتَناوَلُوا ما عَلى المائِدةِ مِنْ خُبْزٍ وعِنَبٍ وقَليلٍ من الحَليبِ . إلاَّ أنَّ الرَّجُلَ العَجوزَ كانَ شَديدَ العَطَشِ ، فقالَ للمَرْأَةِ : ألا يُوْجَدُ عِنْدَكُم مَزيدٌ مِنَ الحَليبِ ؟

فأحَسَّ الرَّجُلُ صاحِبُ الكُوخِ وزَوْجَتُه بالخَجَلِ والارْتباكِ ، فقَدْ قَدَّما لضَيْفَيْهِما كُلَّ ما لَدَيْهِما مِنْ طَعامٍ وحَليبٍ . ومدَّتِ الزَّوْجَةُ يَدَها إلى الإبْريْقِ لِتُؤَكِّدَ للضَّيْفِ أنَّه فارِغٌ ، لكنَّها فُوجِئَتْ بأنَّ الإبريقَ يَطْفَحُ بالحَليبِ ، والمائِدةَ عامرةٌ بالخُبزِ والعِنبِ والعَسَلِ !

قالَ صاحبُ الكُوخِ لِنفْسِهِ مُتعَجِّباً : لابُدَّ أنَّ ضَيْفَنا ساحِرٌ عَظيمٌ تَنكَّرَ في ثِيابِ الشحَّاذِيْنَ . ثُمَّ الْتَفَتَ العَجوزُ الغَرِيبُ إلى صاحِبِ الكوخِ وقالَ لَهُ : ما أشَدَّ كَرَمَكَ ، وما أحْسَنَ ضِيافَتَكَ ، فهَلْ تأذَنُ لنا بالمَبيتِ عِنْدَكُمْ ؟



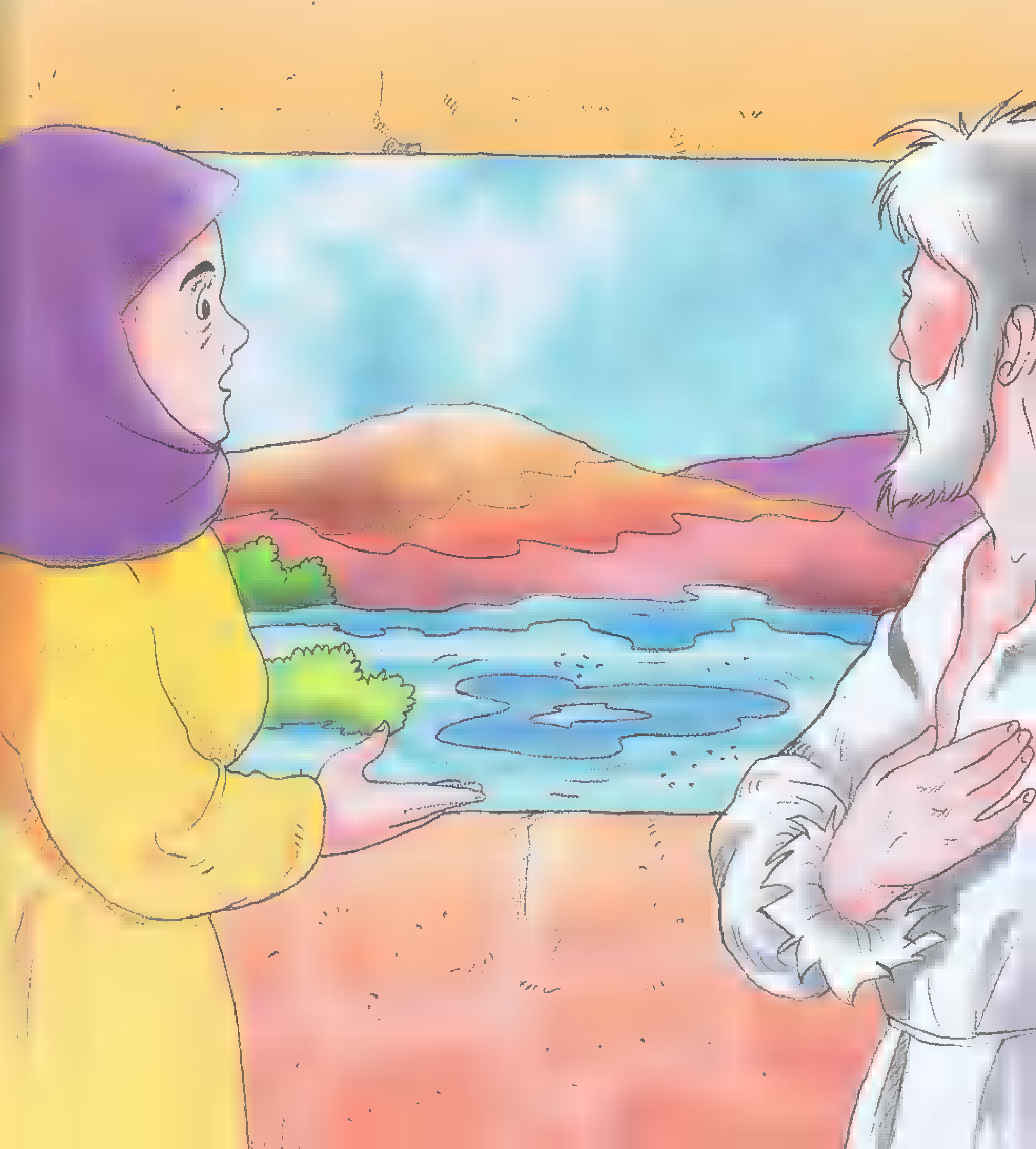
فقَالتِ الزَّوجةُ : على الرَّحْبِ والسَّعَةِ ، فلَدَيْنا سَريرٌ واحِدٌ تستطيعانِ أن تناما عَلَيْه . فقامَ العَجُوزُ وابْنُه إلى السَّريرِ ، بَيْنَما نامَ الرَّجُلُ وزَوْجَتُهُ على أرْضِ الكُوخِ ، ولَمَّا استَيْقظا قالَ الرَّجُلُ لِزَوْجَتِهِ: هَلْ تَسْمَعينَ أصْواتَ الدِّيكَةِ في القَرْيةِ ؟ قالَتْ بِخَوْفٍ : لا ...

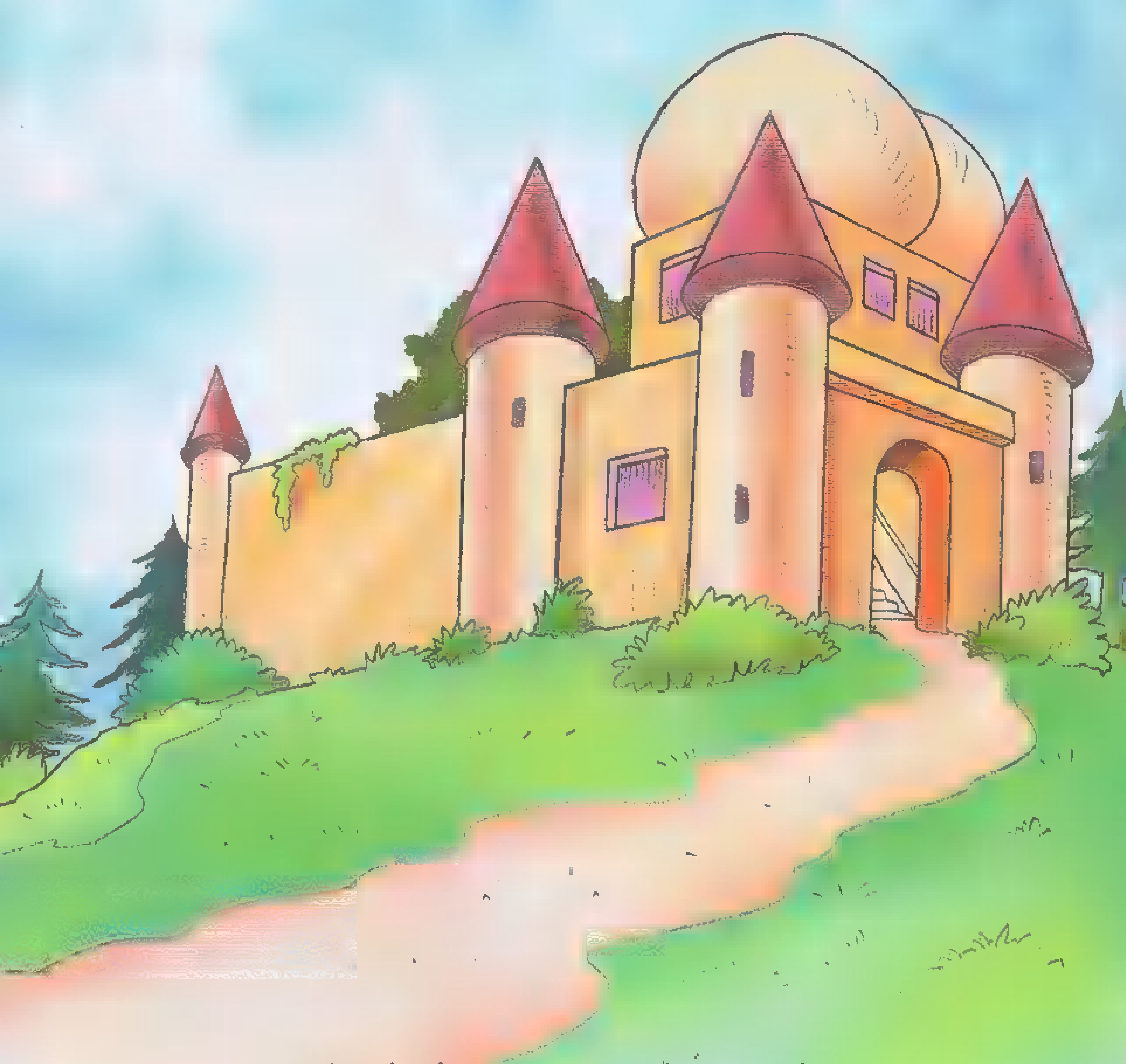




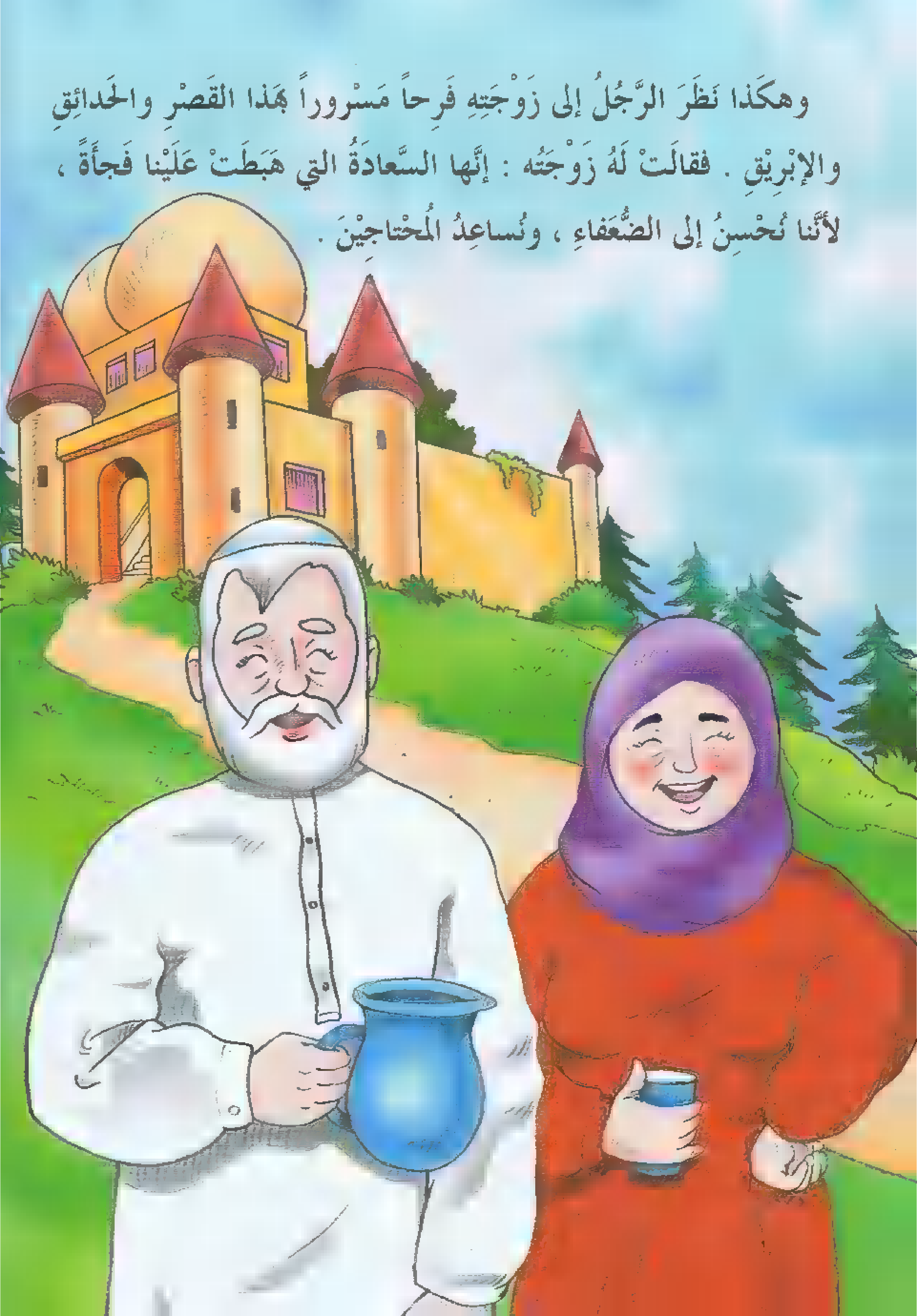
وعِنْدَ ذَلِكَ أطَلَّ الرَّجُلُ مِنْ نافِذَةِ كُوخِهِ ، فأطْلَقَ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً
وقالَ : تَعالَيْ يا زَوْجَتِي ، وانْظُرِي كَيْفَ تَحوَّلَتِ القَرْيَةُ إلى بُحَيْرَةٍ
تَسْبَحُ فِيْها الأسْماكُ المُلَوَّنَةُ . فَتَمْتَمَتِ المَرْأَةُ قائِلَةً : إنَّ ضَيْفَنا لَساحِرٌ
عَجِيبٌ ، ارْحَمْنا يا رَبُّ !

فبرَزَ العَجوزُ السَّاحِرُ وقالَ : تَمَهَّلي أَيَّتُها المرأةُ النَّبيلةُ ، فأَنْتِ وزَوْجُكِ إنْسانانِ طَيِّبانِ ، أنْقَذْتُمانا مِنَ الأَذَى والجُوعِ ، فاسْتَحَقَّ أهْلُ القَرْيةِ الأشْرارُ عِقابي ، أمَّا أنْتُما فلَكُما مُكافأةٌ سَنِيَّةٌ .





عِنْدَ ذَلِكَ دَوَّى صَوْتٌ عَجيبٌ ، يُرافِقُهُ دُخانٌ كثيفٌ، ظَهَرَ بَعْدَهُما قَصْرٌ مِنَ الرُّخامِ ، تَحُفُّ بِهِ الأشْجارُ المُمْتَدَّةُ على طُولِ البُحَيْرَةِ . ولَمْ يَكْتَفِ السَّاحِرُ بذلِكَ ، بَلْ قَدَّمَ لَهُما إبْريقَ الحَليبِ العَجيبَ الَّذي لا يَنْضبُ أبداً ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وابْنُه حتَّى غابا عَنِ الأَنظارِ .



وهكَذا نَظَرَ الرَّجُلُ إلى زَوْجَتِهِ فَرِحاً مَسْروراً بِهَذا القَصْرِ والحَدائِقِ والإبْرِيْقِ . فقالَتْ لَهُ زَوْجَتُه : إنَّها السَّعادَةُ التي هَبَطَتْ عَلَيْنا فَجأَةً ، لأَنَّنا نُحْسِنُ إلى الضُّعَفاءِ ، ونُساعِدُ المُحْتاجِيْنَ .

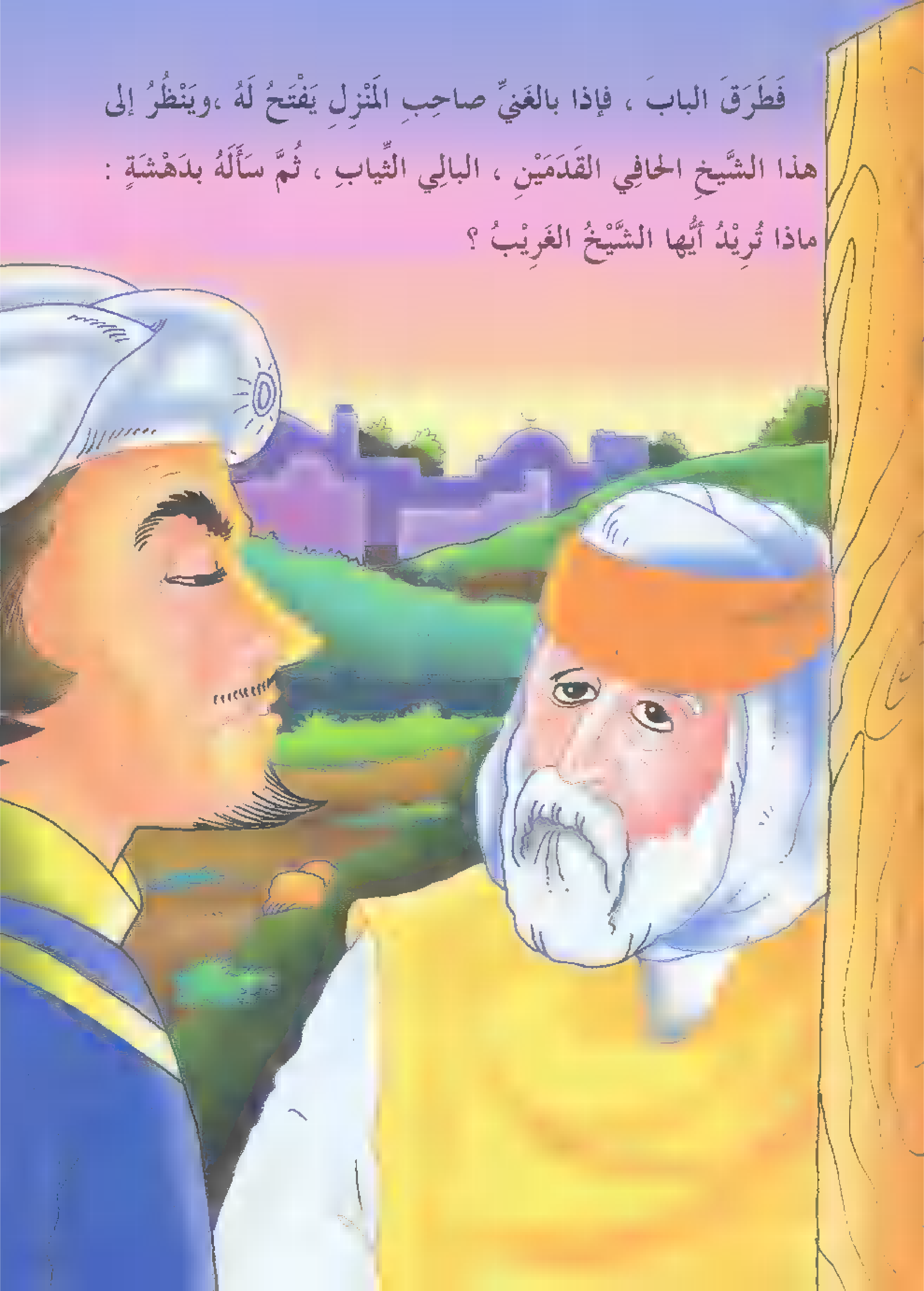
الشيخُ المُتْعَب



فِي حَيٍّ مِنْ أحْياءِ البَلْدةِ ، كانَ يَسْكُنُ رَجُلٌ غَنِيٌّ في مَنْزِلٍ فَخْمٍ تُحِيطُ بِهِ الحَدائِقُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وإلى جِوارِهِ رَجُلٌ فَقِيرٌ مُعْدَمٌ ؛ يَسْكُنُ في بَيْتٍ مُتَواضِعٍ صَغِيرٍ .



وعِنْدَ حُلُولِ اللَّيْلِ ، أَقْبَلَ إلى البَلْدةِ رَجُلٌ مُسِنٌّ ، يَتوكَّأُ عَلَى عَصاهُ ، فنَظَرَ إلى المَنْزِلِ الفَخْمِ ، وقالَ لِنَفْسِهِ : لَعَلَّني أَسْتطيعُ أَنْ آوِيَ في هذا المَنْزِلِ ، وأَسْتريحَ مِنَ التَّعَبِ .



فَطَرَقَ البابَ ، فإذا بالغَنيِّ صاحِبِ المَنْزِلِ يَفْتَحُ لَهُ ،ويَنْظُرُ إلى هذا الشَّيخِ الحافِي القَدَمَيْنِ ، البالِي الثِّيابِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ بدَهْشَةٍ :

ماذا تُرِيْدُ أيُّها الشَّيْخُ الغَرِيْبُ ؟

فَقالَ الشَّيخُ بصَوْتٍ مُنْكَسِرٍ : إنِّي رَجُلٌ عابِرُ سَبيلٍ ، وقَدْ أنْهَكَني التَّعبُ ، فهَلْ تَسْمَحُ لي بالمَبِيْتِ عِنْدَكَ هذِهِ اللَّيلةَ ؟ فقالَ الغنيُّ بجَفاءٍ : وهَلْ تَظُنُّ أنَّ بَيتي مأوًى للغُرَباءِ . ثُمَّ أغْلَقَ البابَ فِي وَجْهِهِ .

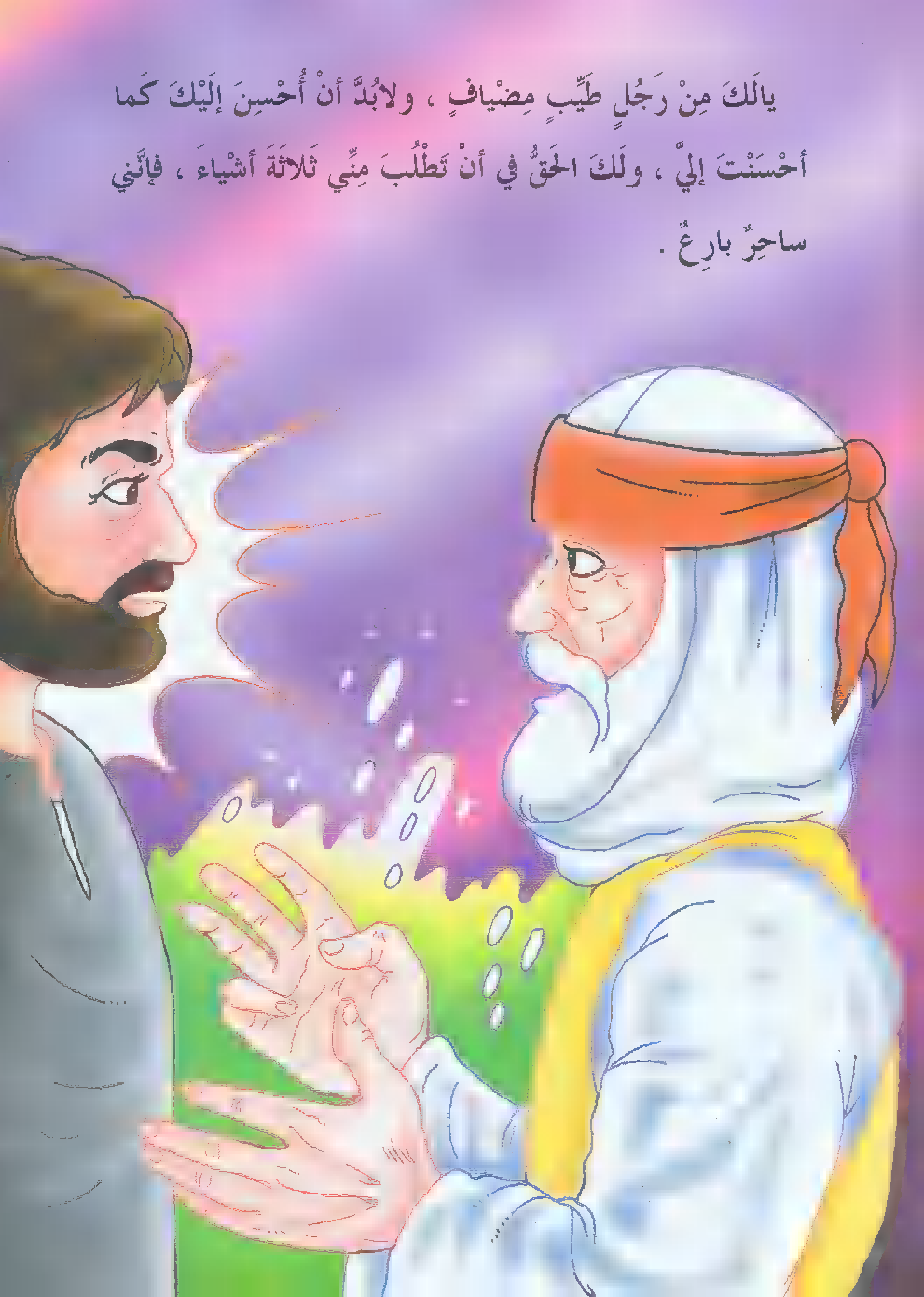




مَضَى الشَّيخُ حَزِيناً ، فمرَّ بمَنْزِلٍ مُتواضِعٍ مَبْنيٍّ مِنَ الطِّيْنِ . فطَرَقَ البابَ ، فإذا بالرَّجُلِ الفَقِيرِ يَفْتَحُ لَهُ، وقَبْلَ أنْ يَسْأَلَه عَنْ حالِهِ ، رَحَّبَ بِهِ، واسْتَقْبَلَهُ أحْسَنَ اسْتِقْبالٍ .

سارَعَ الرَّجُلُ الفَقيرُ ، وقَدَّمَ الطَّعامَ لضَيْفِهِ ، ثُمَّ أعَدَّ لَهُ فِراشاً للنَّوْمِ . ولَمَّا اسْتَيْقَظَ في الصَّباحِ كانَ طَعامُ الفُطُورِ جاهِزاً ، فَتَناوَلَهُ الشَّيْخُ ، وأخَذَ يَشْكُرُ الرَّجُلَ ويقولُ :





يالَكَ مِنْ رَجُلٍ طَيِّبٍ مِضْيافٍ ، ولابُدَّ أنْ أُحْسِنَ إلَيْكَ كَما أحْسَنْتَ إليَّ ، ولَكَ الحَقُّ في أنْ تَطْلُبَ مِنِّي ثَلاثَةَ أشْياءَ ، فإنَّني ساحِرٌ بارِعٌ .

دُهِشَ الرَّجلُ الفَقيرُ مِمَّا سَمِعَ ، وقالَ : لا أتَمَنَّى إلاَّ الصِّحَّةَ ، وما يَكْفِي مِنَ الطَّعامِ . ثُمَّ تَرَدَّدَ قَليلاً وقالَ : وأتَمَنَّى أنْ يَكُونَ لي مَنْزِلٌ واسِعٌ جَميلٌ غَيْرُ هذا المَنْزِلِ البائِسِ .



وَلَمْ يَكَدِ الرَّجُلُ الفَقِيرُ يُتِمُّ كَلامَهُ حَتَّى تَعالَى فِي الفَضاءِ دُخانٌ كَثِيفٌ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَبَدَّدُ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَيَظْهَرُ قَصْرٌ مُنِيفٌ ، مَفْرُوشٌ بِالأَرائِكِ ، وَقَدِ امْتَدَّتْ فِيهِ المَوائِدُ وَعَلَيْها أَفْخَرُ المَأْكُولاتِ .

وَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ الغَنِيُّ هَذِهِ الضَّجَّةَ أَطَلَّ مِنْ نافِذَةِ مَنْزِلِهِ ، فتَعَجَّبَ مِنْ مَنْظَرِ هذا القَصْرِ الباذِخِ ، ونادَى زَوْجَتَهُ : تَعالَيْ وانْظُري يا امْرَأَةُ ! فكادَتِ المَرْأَةُ تَشْهَقُ مِنْ شِدَّةِ العَجَبِ .

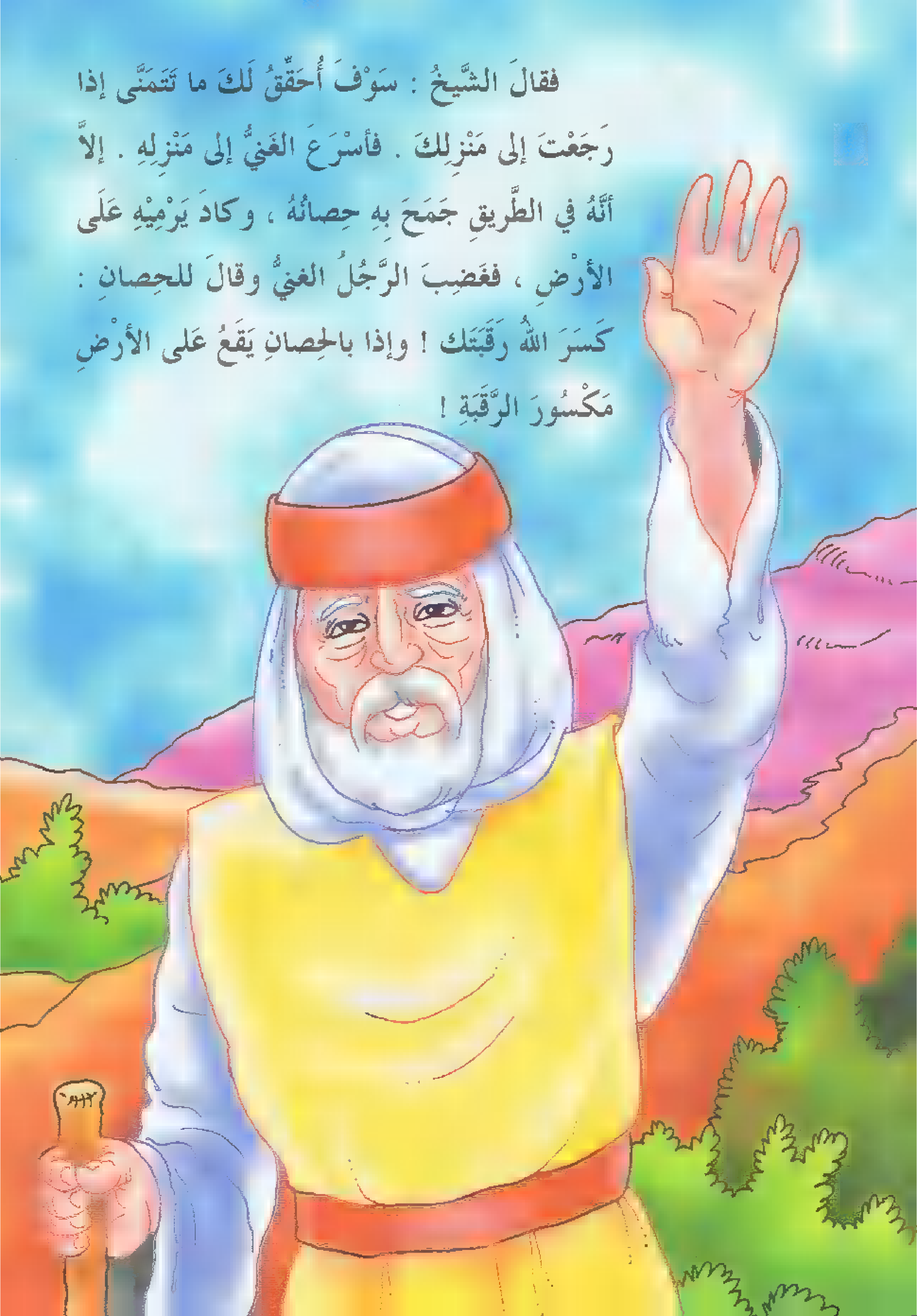




وانْطَلَقَتْ إلى زَوْجَةِ الفَقيرِ تَستَوْضِحُها الأَمْرَ .
ثُمَّ عادَتْ إلى زَوْجِها تُخْبِرُه بما حَدَثَ ، فما كانَ
مِنَ الرَّجُلِ الغنيِّ إلاّ أنْ رَكِبَ حِصانه ، ولَحِقَ
بالشَّيخِ السَّاحرِ ، وقالَ لَهُ بِلُطْفٍ شَدِيدٍ : لِمَ
يَا عَمُّ لَمْ تنْزِلْ في بَيْتِنا ؟

فقالَ الشَّيخُ باسِماً : سأَزُورُكَ في وَقْتٍ قَرِيْبٍ . فقالَ لَهُ الرَّجُلُ الغَنِيُّ مُتَلَهِّفاً : أُرِيْدُ أنْ أَتَمَنَّى ثَلاثةَ أشْياءَ كَما تَمَنَّى جارِي الفَقيرُ .





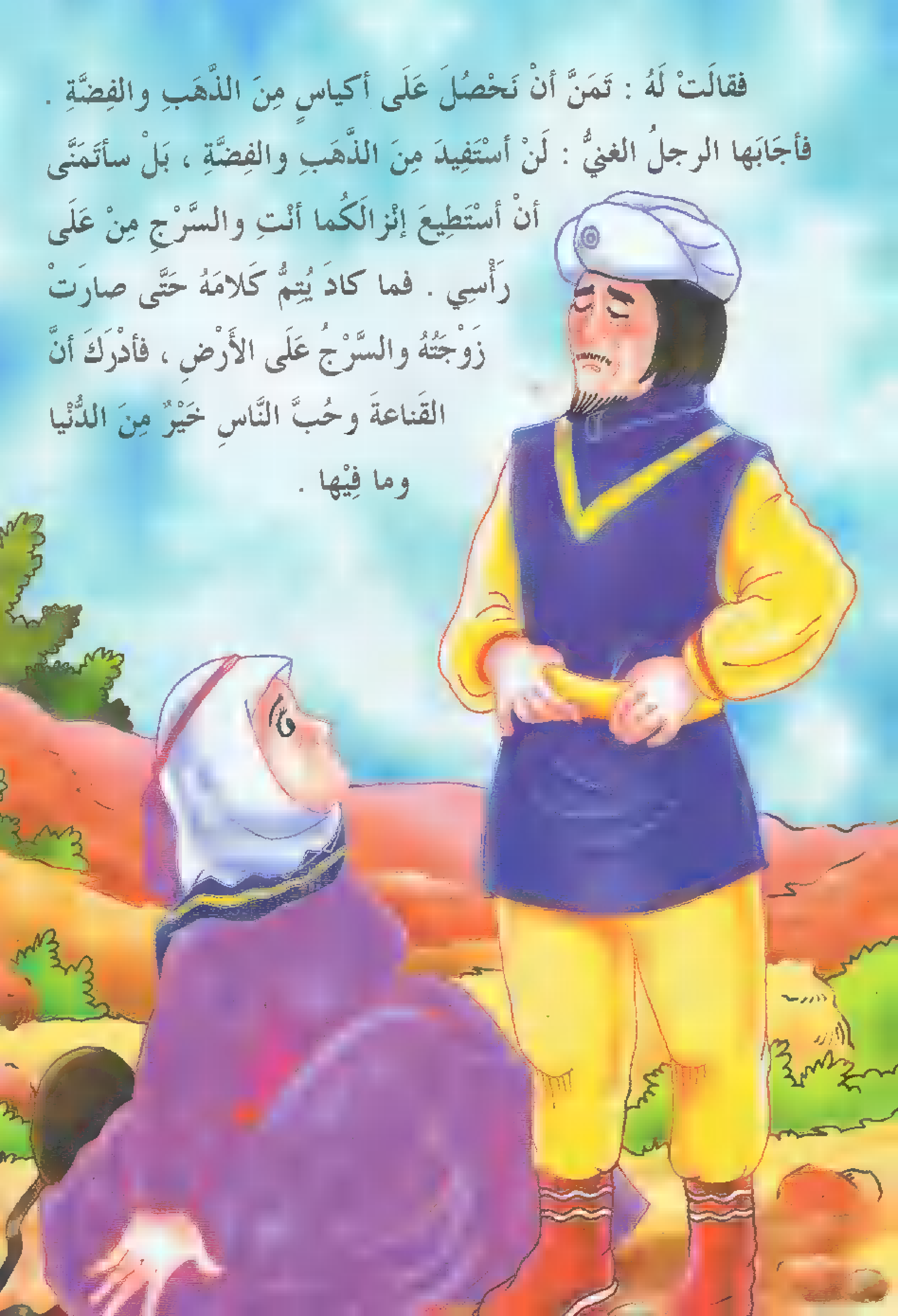
فقالَ الشَّيخُ : سَوْفَ أُحقِّقُ لَكَ ما تَتَمَنَّى إذا رَجَعْتَ إلى مَنْزِلِكَ . فأسْرَعَ الغَنيُّ إلى مَنْزِلِهِ . إلاَّ أنَّهُ في الطَّريقِ جَمَحَ بِهِ حِصانُهُ ، وكادَ يَرْمِيْهِ عَلَى الأَرْضِ ، فغَضِبَ الرَّجُلُ الغنيُّ وقالَ للحِصانِ : كَسَرَ اللهُ رَقَبَتَك ! وإذا بالحِصانِ يَقَعُ عَلى الأَرْضِ مَكْسُورَ الرَّقَبَةِ !

حَمَلَ الغنيُّ سَرْجَ حِصانِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وراحَ يَسيرُ في الحَرِّ الشَّديدِ بمَشَقَّةٍ وتَعَبٍ ، وهُوَ يَرَى أنَّ زَوْجَتَهُ هِيَ السَّـــببُ فِيْما أصابَهُ ، ولَوْ أنَّها الآنَ فَوْقَ هَذا السَّرْجِ لَذاقَتْ شِدَّةَ حَرارَةِ الشَّمْسِ .



وإذا بِهِ فَجْأَةً يرَى زَوْجَتَهُ قَدِ اسْتَقَرَّتْ فَوْقَ السَّرْجِ . فاشْتَدَّ تَعَبُهُ مِنْ ثِقَلِ الحِمْلِ ، وتابَعَ سَيْرَهُ ، ثُمَّ قالَ لزَوْجَتِهِ : أخْبِرِيْني يا زَوْجَتِي ، ماذا أتمنَّى الآنَ ؟ وأنْتِ والسَّرْجُ لا تُفارِقانِ رَأْسِي !





فقالَتْ لَهُ : تَمَنَّ أنْ نَحْصُلَ عَلَى أكياسٍ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ .
فأجَابَها الرجلُ الغنيُّ : لَنْ أستَفِيدَ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، بَلْ سأتَمَنَّى
أنْ أستَطِيعَ إنْزالَكُما أنْتِ والسَّرْجِ مِنْ عَلَى
رَأْسِي . فما كادَ يُتِمُّ كَلامَهُ حَتَّى صارَتْ
زَوْجَتُهُ والسَّرْجُ عَلَى الأَرْضِ ، فأدْرَكَ أنَّ
القَناعةَ وحُبَّ النَّاسِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا
وما فِيْها .

غابة الذئاب

كانَ سُــكّانُ المَزْرعةِ يَعيشُونَ في أَمْنٍ واطْمِئْنانٍ ، يَحْمَدُونَ اللهَ ويَقْنَعونَ بِما في مَزْرَعَتِهِمْ مِنَ النَّباتاتِ القليلةِ والينابيعِ الشَّحيحةِ . إلاّ أَنَّهُمْ كانُوا كَثيراً ما يَفْزَعونَ حِيْنما يَسْمَعُونَ عِواءَ الذِّئابِ يَصْدُرُ مِنَ غابةٍ كَثيفةٍ مُجاوِرةٍ ، سَــمَّوها (غابةَ الذِّئابِ) . لهذا هاجَرَ مُعْظَمُ سُكّانِ المَزْرعةِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ .



لَمْ يَبْقَ في المَزْرعةِ سِوى حَطَّابٍ فَقيرٍ اسْمُهُ سَمِيرٌ ، يَعيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ الوَفِيَّةِ سَميرة ، وكانَتْ لَهُما ابْنَتانِ جَميلَتانِ مُطِيعتانِ ، كُبراهُما عَلْياءُ والصُّغْرى نَوالُ . وكانَ لهذِهِ الأُسْرةِ المُتآلِفَةِ كَلْبٌ نَشيطٌ اسْمُهُ (زَنْبَقٌ) يَحُومُ حَوْلَ أفرادِ الأُسْرَةِ ، ويَنالُ مِنْهُمُ الرِّفْقَ والحَنانَ .





كانَ هَذا الحَطَّابُ شَديدَ الحِرْصِ عَلَى أُسْــرَتِهِ مِنْ غَدْرِ الذِّئابِ المُفْتَرِســةِ . وهُوَ مُضْطَرٌّ إلى الذَّهــابِ كُلَّ يَوْمٍ إلى الغابَةِ لِيَقْتَطِعَ الحَطَبَ الذي كانَ مَوْرِدَ رِزْقِهِ . أمَّا فَأْسُهُ فَهُوَ السِّلاحُ الوَحيدُ الَّذي يَسْتَخْدِمُه في قَطْعِ الأشْجارِ ، والدِّفاعِ عَنْ نَفْسِهِ إذا ما هاجَمَتْهُ الذِّئابُ .



أقْبلَ الشِّتاءُ فاشْتَدَّ البَرْدُ ، وتَراكَمَتِ الثُّلوجُ ، فازْدادَ خطَرُ الذِّئابِ ، ولكنَّ الحَطَّابَ مَعَ ذلكَ حَمَلَ فأْسَهُ ، وقرَّرَ المُضِيَّ إلى الغابَةِ بِجِدٍّ ونَشاطٍ ، بَعْدَ أنْ أَوْصَى زَوْجَتَهُ بألاَّ تَسْمَحَ لابْنَتَيْهِ بمُغادَرَةِ البَيْتِ مَخافَةَ أنْ تَقَعا فَرِيْسَةً للذِّئابِ .



وَلَمَّا هَمَّ الحَطَّابُ بالذّهابِ إلى الغابةِ تَبِعَهُ الكَلْبُ (زَنْبَقٌ) ، وهُوَ يَقْفِزُ حَوْلَه ويُرِيْدُ مُرافَقَتَهُ وحِمايَتَه إذا تعرَّضَ لأيٍّ مَكْرُوهٍ . وكأنَّ الحَطَّابَ فَهِمَ ما يَقْصِدُهُ كَلْبُه الأَمينُ ، إلاَّ أَنَّهُ أشارَ إلَيْهِ أن يَعودَ إلى البيتِ لحمايةِ زَوْجَتِهِ وابْنَتَيْهِ .

مالَتِ الشَّمْسُ إلى المَغيبِ ولَمْ يَعُدِ الحَطّابُ مِنَ الغابةِ ، فبدأَ القَلَقُ يَجْتاحُ قَلْبَ زَوْجَتِهِ سَـــميرةَ ، فأخَذَتْ كُلَّ لَحْظَةٍ تَفْتَحُ البابَ وتَنْظُرُ مِنْ بَعيدٍ ، وتَدْعُو اللهَ أنْ يَعودَ زَوْجُهـــا ســـالِماً ، وتُتَمْتِمُ بصَوْتٍ خافِتٍ : أيْنَ أنتَ يا سَمِيرُ ، لَقَدْ تأَخَّرْتَ كَثْيراً !





أدْرَكَ الكَلْبُ (زَنْبَقٌ) ما يَجْري في نَفْسِ
المَرأةِ المُضْطَرِبةِ ، وأحسَّ بتأَخُّرِ سَيِّدِهِ ، فبَدا
قَلِقاً ، كثيرَ الحَرَكـــةِ ، يَنْظُر هُنا وهُنــاك ،
ففَهِمَتْ سيِّدَتُهُ ما يَجُولُ بخاطِرِهِ .



وهكَذا انْطَلَقَ الكَلْبُ (زَنْبَقٌ) إلى الغابةِ مِثْلَ السَّهْمِ ، لِيَبْحَثَ عَنِ الحَطَّابِ . أمَّا الزَّوْجَةُ فقَدْ سَيْطَر علَيْها الخَوْفُ ، وتَعاظَمَ قَلَقُها ، فنادَتِ ابْنَتَيْها الحائِرَتَيْنِ ، وقالَتْ لعَلْياءَ : اذْهَبي يا بُنَيَّتي إلى ذَلكَ التَّلِّ ، لعَلَّكِ تَرَيْنَ وَالِدَكِ قادِماً .

وأنتِ يا نَوالُ ، اسْلُكي الطَّريقَ المُمْتَدَّةَ على شاطِئِ المُسْتَنْقَعِ حتَّى تَصِلي الغابةَ ، لَعَلَّكِ تَعُودِيْنَ بنَبأ سـارٍّ عَنْ وَالِدِكِ ، واحْذَري أنْ تَتَعَثَّرَ قَدَمُكِ أو تَنْزَلِقي في المُسْتَنْقَعِ ، ثُمَّ وَقَفَتْ تَدْعُو اللهَ أنْ يَحْمِيَ ابْنَتَيْها ، وأنْ يَعُودَ زَوْجُها سالماً .



مَضَـــتِ البِنْتانِ الصَّغيرتانِ تُنَفِّذانِ أوامِرَ والِدَتِهِمـــا ، وكُلٌّ مِنْهما تُحاوِلُ أنْ تُخْفِيَ ما يَعْتَرِيها مِنَ المَخاوِفِ ، ولَكِنْ ، ما أعْجَبَ المَقادِيْرَ ! فها هُوَ ذا أبُوهُما الحَطّابُ يَعودُ إلى بَيْتِه ولكنْ مِنْ طَريقٍ جانِبِيٍّ آخَرَ ، وفي يَدِهِ رُزْمَةٌ مِنَ الحَطَبِ ، وبِرُفْقَتِهِ كَلْبُه الأمِينُ (زَنبقٌ) .



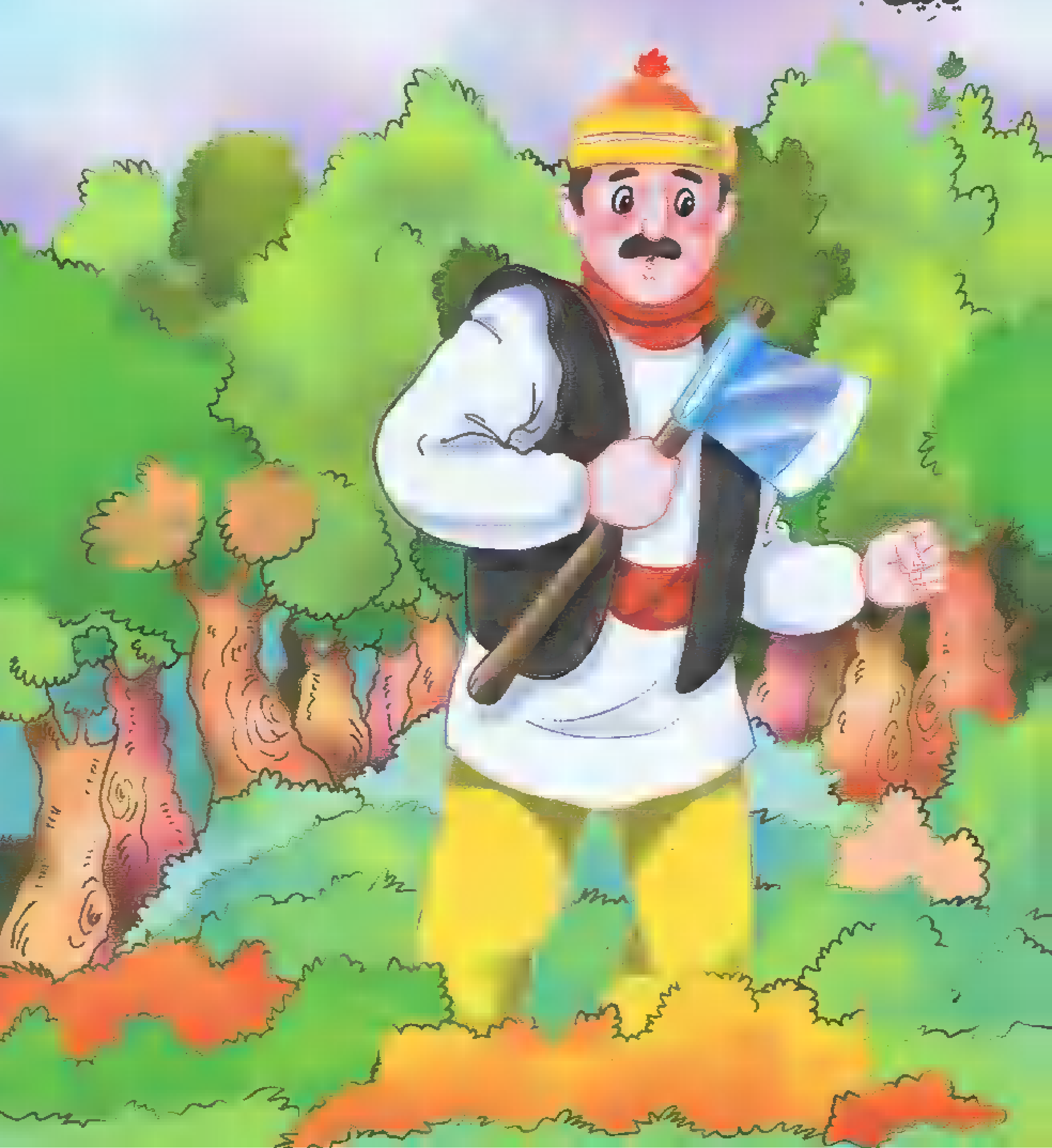
وما أنْ لَمَحَتْهُ زَوْجَتُهُ حَتَّى هَبَّتْ إلَيْهِ تَسْتَقْبِلُهُ بفَرَحٍ ، وتَحْمَدُ اللهَ على سَلامَتِهِ . ثُمَّ سألَتْهُ : هَلِ الْتَقَيْتَ بعَلْياءَ ونَوالَ ؟ فانْتَفَضَ الحَطَّابُ مِنَ الهَلَعِ ، ولاَمَ زَوْجَتَهُ على السَّماحِ لَهُما بالخُروجِ مِنَ البَيْتِ .



وقَبْلَ أنْ تُكمِلَ الزَّوْجةُ حديثَها ، حَمَلَ الحطَّابُ فأْسَهُ ، وانْطَلَقَ إلى الغابَةِ بَحثاً عَنِ ابْنَتَيْهِ الغالِيَتَيْنِ ، وهُوَ يَدْعو اللهَ أنْ يَصُونَهُما ويَحْفَظَهُما . أمَّا كَلْبُه (زَنْبَقٌ) فقَدْ أخذَ يَثِبُ أمامَ سَيِّدِهِ ، ويَسْبِقُهُ إلى مكانِ الخطرِ .



كانَ الحَطَّابُ يُفَتِّشُ الطَّرِيقَ بعَيْنَيْنِ زائِغَتَيْنِ ، وقَلْبٍ واجِفٍ ، حتَّى وَصَلَ إلى حُدُودِ الغابةِ ، فلَمْ يَعْثرْ لابْنَتَيْهِ عَلَى أثَرٍ ، فوَقَفَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ ، ويُنادِي بأعْلى صَوْتِه : عَلْياء ... نَوال ... ولكنْ لا أحَدَ يُجِيْبُ !





وفَجْأَةً سَمِعَ نُباحَ الكَلْبِ يَصْدُرُ مِنْ جِهَةٍ قَرِيْبَةٍ ، فأمْسَكَ بفأْسِهِ وتَوَجَّهَ إلى مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، وإذا بِهِ يُبْصِرُ ابْنَتَيْهِ تَرْتَجِفانِ ، وقَدْ حاصَرَهُما ذِئْبٌ هائِجٌ يُريدُ افْتِراسَهُما ، بَيْنما كانَ الكَلْبُ (زَنبقٌ) يَقْفِزُ ويَنْبَحُ في وَجْهِ الذِّئْبِ لِحمايَةِ البِنْتَيْنِ .

إلاَّ أنَّ الكَلْبَ المِسْكينَ خرَّ صَرِيعاً بَعْدَ أنْ نَهَشَهُ الذِّئْبُ في عُنُقِه .
فلَمْ يَجدِ الحطَّاب بُدًّا مِنَ المُغامَرَةِ ، فحَمَلَ فَأْسَهُ بكُلِّ قُوَّةٍ ، وهَجَمَ عَلى الذِّئْبِ ، وبِضَرْبَةٍ مُحْكَمَةٍ تَمَكَّنَ مِنْ أنْ يُصيبَ رَأْسَ الذِّئْبِ الغادِرِ ، ويُرْدِيَهُ جُثَّةً هامِدَةً .



وهكَذا استَنْقَذَ الحَطّابُ ابْنَتَيْهِ ، والدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ مِنْ أجْفانِهِمْ حُزْناً عَلى فِقْدانِ الكَلْبِ المُخْلِصِ ، فحَمَلُـوهُ ، وعادُوا بِهِ إلى البَيْـتِ ، ودَفَنُوه في حُفْرَةٍ داخِلَ المَزْرعةِ ، وكَتَبُوا عَلى قَبْرِهِ : (هُنا يَرْقُدُ رَمْزُ الوَفاءِ) .





الكيس الضائع

عُرِفَ في إحْدَى المُدُنِ تاجِرٌ لا يَخافُ اللهَ في البَيْعِ والشِّراءِ ، فكانَ يَغُشُّ النَّاسَ ، ويَنْقُصُ في الكَيْلِ والمِيْزانِ ، ولا يَجْلُبُ إلاَّ أرْدَأَ البَضائعِ ، طَمَعاً بالمَكْسَبِ الحَرامِ .



خَرَجَ هَذا التَّاجِرُ في يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ مِنْ بَيْتِهِ ، وقَدْ وَضَعَ كَميَّةً كَبيرةً مِنَ النُّقودِ في كِيْسٍ ، ثُمَّ عَلَّقَ الكِيْسَ بحِزامِهِ ، وهُوَ يَنْوِي أنْ يَدْفَعَ هذا المالَ ثَمَنَ بِضاعةٍ اشْتَراها . ولَمَّا وَصَلَ إلى حانُوتِهِ مَدَّ يَدَهُ إلى الكِيْسِ لِيَسْتَخْرِجَهُ ، ولكِنْ ، ياَلَلْمصيبةِ !

أيْنَ الكِيْسُ ؟

بَحَثَ عَنِ الكِيْسِ في جُيُوبِهِ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فرَجَعَ أدْراجَهُ يُفتِّشُ في زَوايا الطَّرِيْقِ ، ويَسألُ المَارَّةَ مُتَلَهِّفاً ، ولكِنْ ، لا جَوابَ ، ولا أثَرَ ، فعادَ إلى حانُوتِهِ يائِساً بائِساً ، يَبْكي ويَنْتَحِبُ .



أقْبَلَ إلَيْهِ جيرانُهُ ، وأخَذُوا يُواسُونَهُ ، ويُخَفِّفُونَ عَنْهُ ما أَلَمَّ بِهِ مِنْ كارِثَةٍ فادِحةٍ ، مَعَ أَنَّهُمْ يَعْرِفونَ غِشَّهُ وخُبْثَهُ وسُوْءَ مُعامَلَتِهِ ، ولكنَّ أخْلاقَهُمُ الرَّفِيعة جَعَلَتْهُمْ يُشارِكُونه هذا المُصابَ .





قالَ لَهُ أحَدُ جيْرانِهِ : ما رَأْيُكَ يا صاحِبِي أنْ تُرْسِلَ مُنادِياً إلى المَدينَةِ يَجُوبُ الأسواقَ ويُنادِي : كِيْسٌ مَليءٌ بالنُّقود ، مُنْذُ ساعةٍ مَفْقُود ، فمَنْ عَثرَ عَلَيْهِ في الحال ، فلَهُ نِصْفُ ما فِيْهِ مِنَ المال .

غَيْرَ أنَّ التَّاجِرَ الجَشِعَ لَمْ يُعْجِبْهُ هَذا الاقْتِـــراحُ ، فقالَ لجِيْرانِهِ مُعْتَرِضاً : وهَلْ تُرِيْدُونَ أنْ أَخْسَرَ نِصْفَ مالي إذا وُجِدَ الكِيْـــسُ ! ولَمَّا أَلفَى نَفْسَهُ على هذِهِ الحالةِ المُزْرِيةِ ، قَبِلَ بالأَمْرِ ، وأَخَذَ يَبْحَثُ عَنِ المُنادِي الَّذي سيُعْلِنُ عَنْ ضَياعِ الكِيْسِ .

عَلِمَ أَهْلُ المَدينةِ بالأَمْرِ ، وإذا بِرَجُلٍ مُسِنٍّ فَقيرٍ يَحْضُرُ إلى التَّاجِرِ ، ويُعْلِمُهُ أنَّه وَجَدَ كِيْـسَ النُّقُودِ ، وقالَ لَهُ : أيُّها التَّاجِرُ ، يَنْبَغي أنْ تُعْطِيَني نِصْفَ النُّقُودِ ، كَما أَعْلَنَ المُنادِي .



عِنْدَما اطْمأَنَّ التَّاجِرُ إلى أَنَّ نُقودَهُ سَتَعُودُ إِلَيْهِ ، قَرَّرَ أنْ يَحْتالَ على هَذا الرَّجُلِ الفَقيرِ ، لِئَلاَّ يَمْنَحَهُ الْمكافأَةَ الموْعُودَ بِها ، فقالَ لَهُ : سَتنالُ ما تُرِيْدَ أَيُّها الرَّجُلُ ، إذا رَدَدْتَ إليَّ كِيْسَ النُّقودِ ، وبداخِلِهِ الجَوهَرةُ الثَّمِينَةُ .

فصاحَ الرَّجُلُ الفَقيرُ مُتَعَجِّباً : ماذا تَزْعُمُ أَيُّها التَّاجِرُ ! أُقْسِمُ لَكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ في الكِيْسِ غَيْرَ النُّقودِ ، ولا شَيءَ سِواها ، وما دُمْتَ مُصِرًّا عَلَى وُجودِ جَوْهرةٍ ثَمينةٍ ، فلَنْ أُسَـلِّمَكَ الكِيْسَ إلاَّ إذا أعْطَيْتَني حَقِّي .

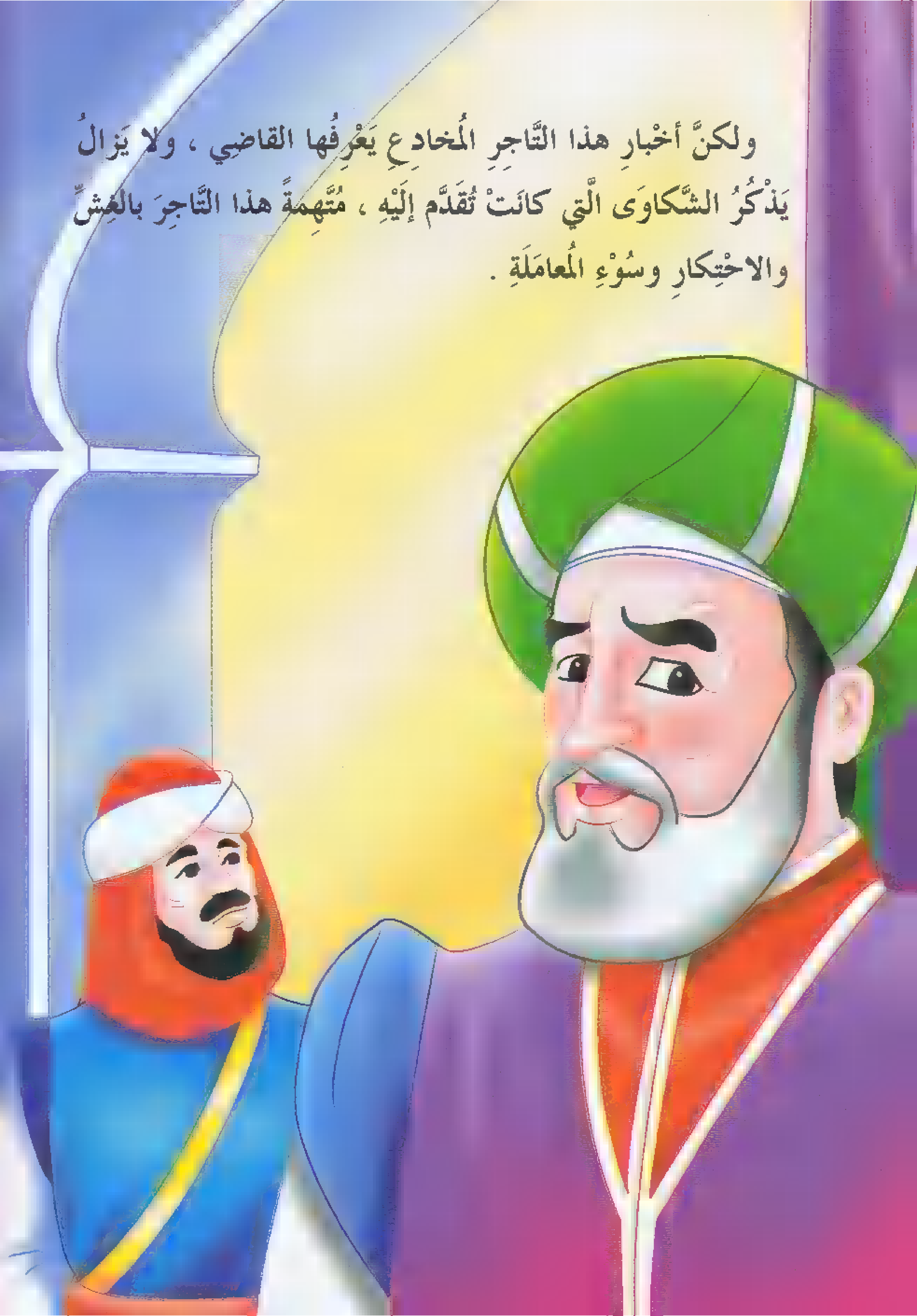




وكأَنَّ جَوابَ الرَّجُلِ الفَقيرِ لَمْ يُعْجِبِ التَّاجِرَ ، فقَدْ وَقَفَ حانِقاً ، يُراقِبُهُ وهُوَ يُغادِرُ المَكانَ ويَنْصَرِفُ إلى شَأْنِهِ ، وكِيْسُ النُّقودِ في قَبْضَتِهِ ، فقَرَّرَ التَّاجِرُ أنْ يُسْرِعَ إلى قاضِي المَدِيْنةِ لِيَرْفَعَ الأَمْرَ إلَيْهِ .



جَلَسَ القاضِي في صَدْرِ
المَحْكَمَةِ بِهَيْبَةٍ ووَقارٍ ، وهُوَ
يُصْغِي إلى التَّاجِـــرِ يَرْفَـــعُ
شَكْواه ، ويَبْكي ويَسْتَعْطِفُ
مُدَّعِياً أنَّهُ مَظْلومٌ .



ولكنَّ أخبارِ هذا التَّاجرِ المُخادِعِ يَعْرِفُها القاضِي ، ولا يَزالُ يَذْكُرُ الشَّكاوَى الّتي كانَتْ تُقَدَّم إلَيْهِ ، مُتَّهِمةً هذا التَّاجِرَ بالغِشِّ والاحْتِكارِ وسُوْءِ المُعامَلَةِ .



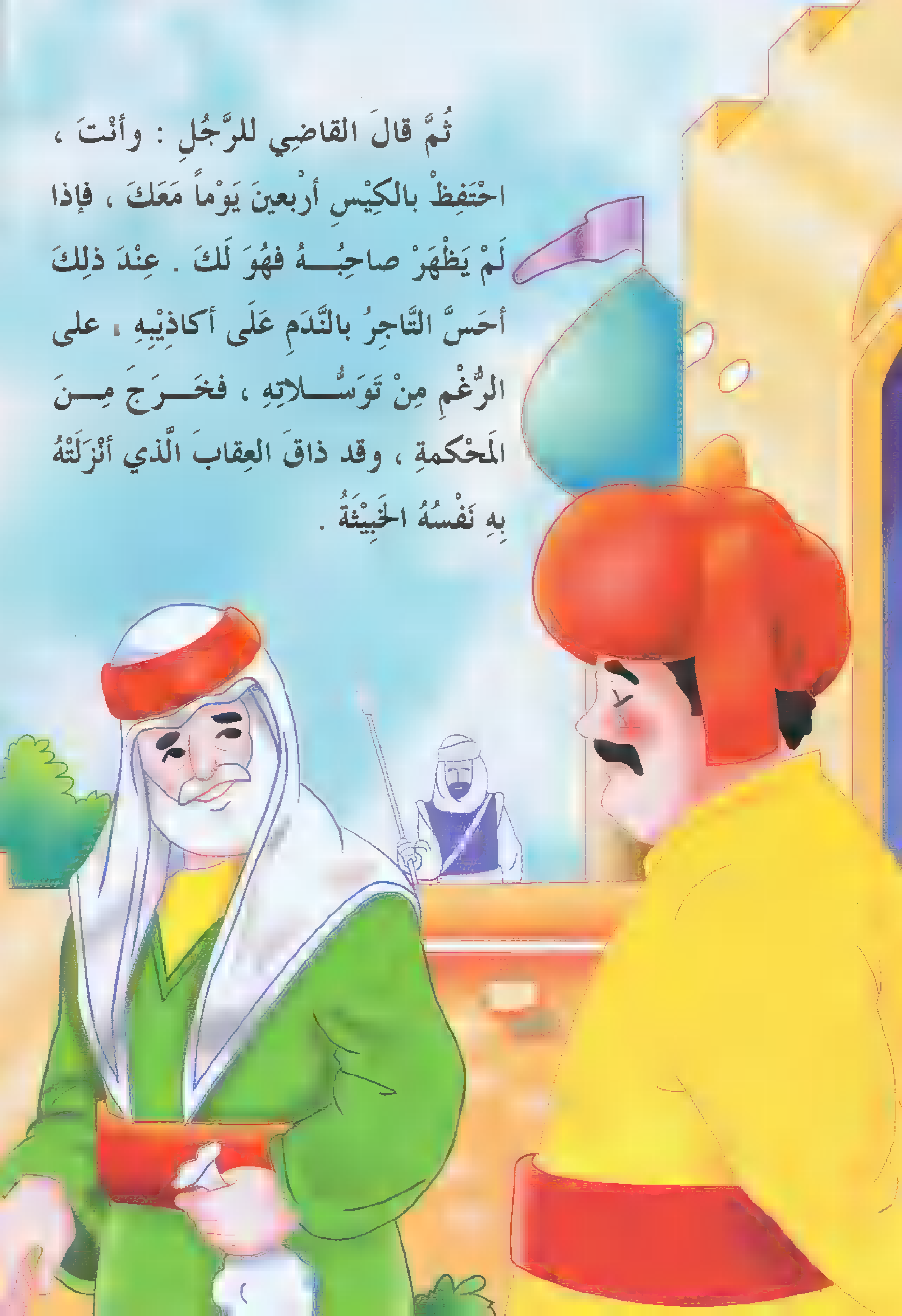
أوْعَزَ القاضِي إلى حاجِبِهِ قائِلاً : أَحْضِرْ لَنا ذلكَ الرَّجُلَ الَّذي عَثَرَ عَلى كِيْسِ النُّقودِ . فلمَّا حَضَرَ ، سأَلَهُ القاضِي : لماذا لَمْ تَرُدَّ الكِيْسَ إلى صاحِبِهِ ؟ فقالَ الرَّجُلُ الفَقيرُ : إنَّه يَزْعُمُ أنَّ في الكِيْسِ جَوْهَرةً ثَمينةً مَعَ النُّقودِ .



وبَيْنَ صَمْتِ الحُضورِ ، أخَذَ القاضِي يُفَكِّرُ في الأمْرِ ،
ثُمَّ قالَ للتَّاجِرِ : هَلْ لَكَ أيُّها التَّاجِرُ أن تَصِفَ لَنَا تِلْكَ
الجَوْهَرَةَ ، وأنْ تُخْبِرَنا مِنْ أيْنَ أَتَيْتَ بِها ؟

فلفَّقَ التاجرُ الغَدَّارُ بَعْضَ الأكاذِيْبِ حَوْلَ الجَوْهَرةِ الثَّمِينةِ مُؤَكِّداً مَزاعِمَهُ السَّابِقةَ . فأدْرَكَ القاضِي الذَّكيُّ بُطْلانَ دَعْوى هذا التَّاجِرِ ، إلا أنَّه قالَ لَهُ : إذا كُنْتَ صادِقاً فِيْما تَقولُ ، فإنَّ هذا الكِيْسَ ليسَ كِيْسَكَ ، وإنَّما هُوَ لِرَجُلٍ آخَرَ ، لأَنَّهُ لَيْسَ فِيْهِ سِوَى النُّقودِ .





ثُمَّ قالَ القاضِي للرَّجُلِ : وأنْتَ ، احْتَفِظْ بالكِيْسِ أرْبعينَ يَوْماً مَعَكَ ، فإذا لَمْ يَظْهَرْ صاحِبُـــهُ فهُوَ لَكَ . عِنْدَ ذلِكَ أحَسَّ التَّاجِرُ بالنَّدَمِ علَى أكاذِيْبِهِ ، على الرُّغْمِ مِنْ تَوَسُّــلاتِهِ ، فخَــرَجَ مِــنَ المَحْكمةِ ، وقد ذاقَ العِقابَ الّذي أنْزَلَتْهُ بِهِ نَفْسُهُ الخَبِيْثَةُ .

العجوز العطشى

كانَ هُناكَ أُخْتانِ ، إحْداهُما كَبيرةٌ ، تُشْبِهُ أُمَّها فِي قُبْحِ المَنْظَرِ ، وسُوْءِ الأخْلاقِ ، والثّانيةُ صَغيرةٌ ، جَميلةٌ ، وَدِيعةٌ ، حَسَنَةُ المُعاملةِ والسُّلوكِ .



وكانتِ الأُمُّ وابْنَتُها الكَبيرةُ مَكْرُوهَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ ، لا يُحِبُّ أحَدٌ مُجالَسَتَهُما ، لذلكَ كانَتِ الأُمُّ تُفَضِّلُ ابْنَتَها الكَبيرةَ ، وتَظْلِمُ الصَّغيرةَ ، وتُجْبِرُها عَلَى تَنْظِيْفِ المَنْزِلِ ، وحَمْلِ الجَرَّةِ الكَبيرةِ لِتَمْلأَها بالماءِ مِنْ نَبْعٍ بَعيدٍ .



وفي صَباحِ أحَدِ الأيَّامِ ، كانَتِ البِنْتُ الصَّغيرةُ عِنْدَ النَّبْعِ ، وإذا بامْرأةٍ عَجُوزٍ تَقْتَرِبُ مِنْها ، وتَسْأَلُها أنْ تُساعِدَها عَلى شُرْبِ جُرْعَةٍ مِنَ الماءِ .

فَسارَعَتِ البِنْتُ الصَّغيرةُ إلى مَلْءِ وِعاءٍ بالماءِ ، وقالَتْ للمَرْأَةِ العَجُوزِ : اشْرَبي يا خالَتي . فشَرِبَتِ المَرْأةُ حَتَّى ارْتَوَتْ ، ثُمَّ قالَتْ لِلفتاةِ : يا لَكِ من فتاةٍ مُهَذَّبةٍ نَبيلَةٍ .



وعِنْدَما هَمَّتِ البِنْتُ الصَّغيرةُ بالذَّهابِ ، بَعْدَما مَلأَتْ جَرَّتَها ، اسْتَوْقَفَتْها المرأَةُ العَجوزُ ، وقالَتْ لَها : اعْلَمي يا بُنَيَّتي أَنَّي عَجُوزٌ ساحِرَةٌ ، وسَتَرَيْنَ أَنَّكِ كُلَّما فَتحْتِ فَمَكِ لِلْكَلامِ خَرَجَتْ مِنْهُ زَهْرةٌ أو جَوْهَرةٌ . ثُمَّ مَسَحَتْ فَمَ الفَتاةِ بِيَدِها ، وغابَتْ عَنِ الأَنْظارِ .



ولَمَّا رَجَعَتِ الفَتاةُ إلى البَيْتِ ، هَجَمَتْ عَلَيْها أُمُّها تُوَبِّخُها عَلى تَأَخُّرِها . وما كادَتِ الفَتاةُ تَعْتَذِرُ إلى أُمِّها حَتَّى تَأَلَّقَتْ في فَمِها وَرْدَةٌ مُلَوَّنَةٌ ولُؤْلُؤَةٌ مُضِيْئَةٌ .





فَصاحَتِ الأُمُّ مِنَ الدَّهْشَةِ : يا لَلْعَجَبِ ! ما هَذا يا بُنَيَّتي !
وكانَتْ هذِهِ هِيَ المَرَّةَ الأُولَى الَّتي تُخاطِبُها الأُمُّ القاسِيَةُ بقَوْلِها :
(يا بُنَيَّتي) . فقَصَّتِ الفَتاةُ على أُمِّها ما جَرَى
لَها مَعَ العَجُوزِ ، وكُلَّما تَكَلَّمَتْ خَرَجَتْ
مِنْ فَمِها الجَواهِرُ والأَزْهارُ .



نادَت الأُمُّ ابْنَتَها الكَبيرةَ قائِلةً : أسْرِعي يا حَبِيْبَتي إلى النَّبْعِ ، فإذا طَلَبَتْ مِنْكِ امْرأَةٌ عَجُوزٌ أن تَسْــقِيَها فلا تَتَرَدَّدِي أنْ تَكُوني مَعَها كَرِيمةً سَخِيَّةً ، لعَلَّكِ تَحْصُلِينَ مِنْها على ما حَصَلَتْ أُخْتُكِ الصَّغيرةُ .



تَذمَّرَتِ الفَتاةُ الكَبيرةُ مِنْ هَذا الطَّلَبِ الَّذي لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَيْهِ ، ولَكِنَّها أَمامَ إلْحاحِ أُمِّها حَمَلَتْ وِعاءً مِنَ الفِضَّةِ جَميلاً ، ومَضَتْ إلى النَّبْعِ مُكْرَهَةً غاضِبَةً .

وعِنْدَ النَّبْعِ أقْبَلَتْ عَلَيْها العَجُوزُ السَّــاحرةُ ، وطَلَبَتْ مِنْها أنْ تَسْقِيَها مِنَ الماءِ ، ولكنَّ الفَتاةَ ذَاتَ الطِّباعِ الشَّرِسَةِ دَفَعَتْها بِيَدِها ، ولَمْ تَسْقِها الماءَ . فقَالَتْ لَها السَّاحِرةُ : سَأعاقِبُكِ عَلَى هذا التكبُّرِ بسِحْرٍ يَجْعَلُكِ كُلّما فَتَحْتِ فَمَكِ خَرَجَ مِنْهُ ثُعْبانٌ مُخِيفٌ .

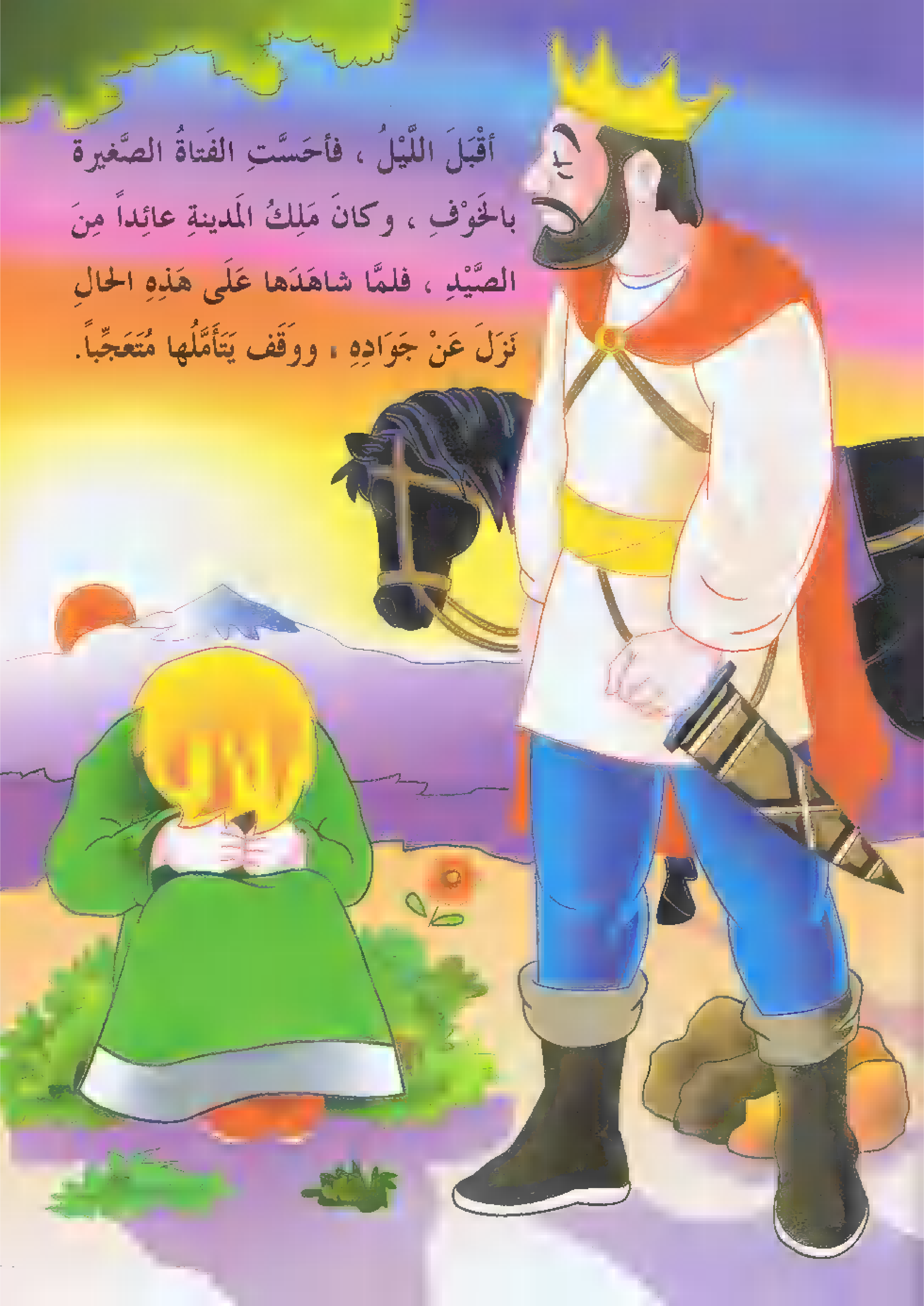


ولَمَّا رَجَعَتْ إلى البَيْتِ فَرِحَتْ أُمُّها بقُدُومِها ، وسأَلَتْها عَمَّا حَدَثَ لَها . فما كادَتِ الفَتاةُ المُتَكبِّرةُ تَشْرَعُ بالكَلامِ حَتَّى بَرَزَ مِنْ فَمِها ثُعْبانٌ سَامٌّ ، فلَطَمَتْ أُمُّها خَدَّها بدَهْشَةٍ ، وصاحَتْ : ما هَذا ! يا لَلْهَوْلِ !



وظَنَّتِ الأُمُّ القاسِيَةُ أنَّ ابْنَتَها الصَّغيرةَ هِيَ السَّبَبُ ، فهَجَمَتْ عَلَيْها وأشْبَعَتْها ضَرْباً ، ثُمَّ طَرَدَتْها مِنَ المَنْزِلِ . فمَضَتِ الفَتاةُ إلى الطَّرِيْقِ حَزِينةً يائسَةً ، إلى أنْ وَصَلَتْ إلى الغابَةِ .





أقْبَلَ اللَّيْلُ ، فأحَسَّتِ الفَتاةُ الصَّغيرة
بالخَوْفِ ، وكانَ مَلِكُ المَدينةِ عائِداً مِنَ
الصَّيْدِ ، فلمَّا شاهَدَها عَلَى هَذِهِ الحالِ
نَزَلَ عَنْ جوَادِهِ ، ووَقَفَ يَتَأَمَّلُها مُتَعَجِّباً.

ثُمَّ سَأَلَها المَلِكُ : ما قِصَّتُكِ يا بُنَيَّتي ؟ ولماذا تَبْكِينَ ؟

فأَجابَتْهُ بصَوْتٍ ضَعِيفٍ : إنَّ أُمِّي يا سَيِّدي طَرَدَتْني مِنَ المَنْزِلِ .

وكانَتِ الجَواهِرُ والأزْهارُ تَتَدَفَّقُ مِنْ فَمِها كُلَّما نَطَقَتْ بِحَرْفٍ .





فدُهِشَ المَلِكُ مِنْ هذا المَشْـــهَدِ
العَجِيْبِ ، فسارَعَتِ الفَتاةُ وأَخْبَرَتْهُ
بِقِصَّتِها مَعَ السَّاحِرةِ العَجُوزِ ، فما
كانَ مِنَ المَلِكَ إلاَّ أنْ حَمَلَها بعَطْفٍ
وحَنانٍ ، ومَضَـــى بِها إلى قَصْرِهِ ،
وجَعَلَها ابْنةً لَهُ ، تَعِيْشُ مَعهُ في سَعادَةٍ
وهَناءٍ .

أمَّا أُخْتُها المُتَكَبِّرَةُ فقَدْ نَفَرَ مِنْها النَّاسُ ، وطَرَدَتْها أُمُّها خَوْفاً مِنَ الثّعابينِ الَّتي تَخْرُجُ مِنْ فَمِها ، فراحَتْ تَجُرُّ خُطاها إلى الغابَةِ المُوْحِشَةِ دُوْنَ أنْ يَعْرِفَ مَصيرَها أَحَدٌ .





عمل الخير

وَقَفَتِ الجِنيَّةُ سُوسُو أمامَ زَهرةٍ رائعةِ الألْوانِ ، وأحـــبَّتْ أنْ تَتَحوَّلَ هَذِهِ الزَّهْرَةُ إلى فتاةٍ جميلةٍ . وما كادَتْ تُقبِّلُها حتَّى صارَتْ هَذِهِ الزَّهرةُ فتاةً بطُوْلِ الإصْبَعِ ، فسـمَّتْها " فُوْفُوْ " وحَمَلَتْها إلى سَريرٍ صَغـيرٍ صَنَعَتْهُ مِنْ قِشْرِ الجَوْزِ وأوْراقِ البَنَفْسَجِ والوَرْدِ .



ولكنَّ سَرطاناً بَحْريًّا هَرِماً عَثَرَ على " فوفو " نائمةً في سَريرِها ،

فقـــالَ لنَفْسِهِ : إنَّها
تَصْلُحُ خَطيبةً لوَلَدي .
فمــدَّ مِخْلَبَيْهِ وسَحَبَ
قِشْرةَ الجَوْزِ بهُدوءٍ ،
حتَّى وصلَ إلى ساقـــيةٍ
مُوْحِلَةٍ كانَ السَّرَطانُ
ووَلَدُه يَعيشـــانِ على
طَرَفِها .

عِنْدما شاهَدَ السَّرَطانُ الصَّغيرُ " فُوفُو " أَدْهَشَهُ جَمالُها ، فقالَ له والِدُه : سوفَ تَبْقــى " فوفو " عندَنا يا وَلَدي ، فكُنْ مُطْمَئِنًّا ، وسَنَضَعُها على وَرَقةِ شَجَرٍ تَتَّســعُ لها ، ثُمَّ ســنَجْعَلُها في وَسَطِ السَّاقيةِ حتَّى يُحيطَ بها الماءُ ، فلا تَستَطِيْعُ الهُروبَ .



ونَفَّذَ السَّرَطانُ الهَرِمُ خُطَّتَهُ بِنَجاحٍ ، فلمَّا اسْتَيْقَظَتْ " فُوفُو " وَجَدَتْ نَفْسَها مُحاطةً بالماءِ ، ووَرقةُ الشَّجَرِ تَضْطَرِبُ بِها وتَتَمايَلُ ، فأحَسَّتْ بالخَوفِ ، وأخَذَتْ تَبْكي وتَنْتَحِبُ .



إلاّ أنّ السَّرطـــانَ
الهَرِمَ لا يَزالُ عازِمـــاً
على زَواجِ ابْنِهِ مِنْ " فُوفُو " ،
فأقـــامَ الزِّينَةَ في بيْتِهِ ، ثم ذهبَ هو
ووَلَدُه ، فقَدَّما تحيَّةَ الصَّبـــاحِ إلى " فُوفُو "
وأعْلَماها بـــأمْرِ الزَّواجِ . وفي هذِهِ الأثناءِ سَمِعَتْ
إحْدى السَّمكاتِ حَديثَهُما ، فأطلَّتْ على الخَطيبـــةِ
الحُلوةِ المَنكُوبَةِ وهَمَسَتْ : ما أشدَّ شَقاءَكِ يا " فُوفُو "
إذا تَزوَّجْتِ بهذا السَّرطانِ القَذِرِ .

ولمَّا عادَ السَّرَطانُ وابْنُه إلى مأْواهُما دَنَتِ السَّمكَةُ مِنْ وَرَقةِ الشَّجَرِ التي تَحــمِلُ " فُوفُو " وهَزَّتْها بــذَنَبِها ، فهَوَتْ " فُوفُو " على ظَهْرِ السَّمَكةِ ، فسَبَحَتْ بِها إلى شــاطِئِ السَّاقِيةِ ، حَيْثُ لَمَحَها عُصْفُورٌ جَميلٌ ، فغَرَّدَ لها ، وحَمَلَها بِمِنْقارِهِ وحَلَّقَ بِها في الفَضاءِ الواسِعِ .

لقَدْ فَرِحَتْ " فُوفُو " بِهذِهِ الرِّحْلَةِ الفَضائِيَّةِ على جَناحِ هــذا الطَّائِرِ الجَميلِ ، فشــاهَدَتِ الكَثيرَ مِنَ المزَارِعِ والبُلدانِ . ثُمَّ حَطَّ بِها على غُصْنِ شَجَرَةٍ في الغابـــــةِ ، واتَّخَذَ مِنْ شِقٍّ في الشَّجرةِ مأوًى يَعيشانِ فِيْهِ بأمانٍ واطْمِئْنان ، بَعيداً عَنْ حَرارةِ الصَّيْفِ ، ويَتَغَذّيانِ برَحيقِ الأزْهارِ العِطْرِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ .

بَعْدَ أشْهُرٍ وَقَفَ العُصْفورُ حَزيناً أمامَ " فُوفُو " وقالَ لَها بِــتَرَدُّدٍ : اعْذُريني يا " فُوفُو " لابُدَّ لي أنْ أُوَدِّعَكِ ، لأنَّ العصافيرَ تُهاجِرُ في فَصْلِ الشِّتاءِ إلى أماكِنَ دافِئَةٍ . فلَوَّحَتْ لَهُ " فُوفُو " بِيَدِها تُوَدِّعُه ، وعادَتْ إلى جِذْعِ الشَّجرةِ ، ولكِــنَّ الأمطارَ داهَمَتْها بغزارةٍ ، وأحسَّتْ بالبَرْدِ ، فراحَتْ تَبْحَثُ عَنْ مأوًى جديدٍ .

عَثَرَتْ " فُوفُو " على بَيْتِ فأْرةٍ قُرْبَ الشَّجرةِ ، فــتَسَلَّلَتْ إلى داخِلِهِ لتَتَّقِيَ البَرْدَ والمطــرَ ، ولَمَّا رأَتْ فِيْهِ بَعْضَ الــقَمْحِ والمَوادِّ الغِذائيَّةِ شَعَرَت بالأَمْنِ والاطْمِئنانِ .



لَمّا رَجَعَتِ الفأْرَةُ إلى بَيْتِها فُوجِئَتْ بِهذِهِ الضَّيْفةِ الجَميلةِ ، فرَحَّبَتْ بِها بَعْدَ أن عَرَفَتِ اسْمَها ، وقالَتْ : سَنكُون صَديْقَتَيْنِ مُتَحابَّتَيْنِ يا " فُوفُو " وغَداً سوفَ يَزُورُنا أحَدُ أقرِبائي ، وسنَقْضي مَعَهُ ساعاتٍ مِنَ المَرَحِ والسَّعادَةِ .



وتابَعَتِ الفأْرَةُ حَدِيْثَها : إنَّه ابنُ عَمِّي ذو الفَرْوِ النَّاعمِ . ولَدَيْهِ قَصْرٌ مُرِيْحٌ ونَظيفٌ ، ولكنَّه مَعَ الأسَفِ ضَعيفُ النَّظَرِ ، لا يَتمَكَّنُ مِنْ رُؤْيَةِ جَمالِكِ يا " فُوفُو " وكَمْ سأَكُونُ سَعيدةً إذا قَبِلْتِ بالزَّواجِ مِنْهُ ! عِنْدَ ذلِكَ أدْرَكَتْ " فُوفُو " أنَّ هذا الزَّوْجَ المُرْتَقَبَ ما هُوَ إلاَّ الجُرَذُ ، ابنُ عَمِّ الفأْرَةِ .



ولَمّا حَضَرَ الجُرَذُ اسْتَراحَ قَليلاً ، ثُمَّ دَعا ابْنَةَ عَمِّهِ الفَأْرَةَ وصَدِيقَتَها "فُوفُو" إلى زِيارَةِ قَصْرِهِ ، ولكنَّه قـــالَ لَهُما : أرْجُو ألاَّ تَتَأَثَّرا بمَنْظَرِ عُصْفُورٍ كَبيرٍ طَريحٍ عِنْدَ بابِ القَصْرِ بسَبَبِ ما أصابَه مِنْ بَرْدٍ شَديدٍ .

وعِنْدَما وَصَلوا القَصرَ لَمَحَتْ " فُوفُو " العُصفــورَ المَريــضَ ، فتألَّمَتْ كَثيراً لأنَّها تُحِبُّ العصافِيرَ وتأنَسُ بِهِمْ . فانْتَهَزَتْ فُرْصَةَ انْشــغالِ الفأرةِ وابــنِ عَمِّها بــتَحْضِيرِ الطَّعامِ ، وأقْبَلَتْ على العُصْفورِ تُغَطِّيه بالأعْشابِ والقَشِّ ، فأحَسَّ بــالدفْءِ والحرَكَةِ ، وأَخَذَ يَنْظُرُ إلَيْها نَظَراتِ الشُّكْرِ والامْتِنانِ .



وبَعْدَ يومَيْنِ ، سَطَعَتِ الشَّمْسُ ، وارْتَدَّتْ إلى العُصفورِ عـــافِيَتُهُ ، فقالَ لـــ " فُوفُو " : ما رأْيُكِ أنْ تَرْحَلي مَعِي ، سأحْمِلُكِ على جَناحِي، وأطوفُ بــــكِ فوقَ المُدُنِ الجَميلةِ ، وأضَعُكِ على أجملِ زهرةٍ رأتْها الـــعَيْنُ . فــقَبلَتْ " فُوفُو " ولَمْ تَأسَفْ علـــى فِراقِ الفأْرةِ وابنِ عَمِّها .



وفي الحالِ ، حَمَلَ العُصفورُ " فُوفُو " ووَضَعَها عَلى أجْمَلِ زهرةٍ في أحَدِ القُصُورِ ، وإذا بهذِهِ الزَّهرةِ تَتَحـوَّلُ إلى أميرٍ جميلٍ بِطُولِ " فُوفُو " . فنَظَرَ إلَيْها ، وأُعْجِبَ بها ، فـعَرَضَ عَلَيْها الزَّواجَ ، ولكنَّها خَجِلَتْ قَليـلاً ، ثُمَّ ابْتَسَمَتْ وقـالَتْ لَهُ : كَما تَشاءُ .

وتَمَّ الزَّواجُ السَّعيدَ وقَضَى العَرُوسانِ شَهْرَ العَسَلِ على جَناحِ العُصفورِ ، حتَّى استَقَرَّا عِنْدَ مَمْلكةِ الأزهارِ . فاستأذَنَ العُصفورُ بالرَّحيلِ وهُوَ يَقــولُ : لَقَدْ أنْقَذْتِني يا " فُوفُو " مَرَّةً ، وها أنَذا أَرُدُّ لَكِ الجَميلَ .



حِكايات وعِبَر

قصصٌ غنيةٌ بالدروسِ والعِبَرِ تقتربُ أحداثُها من خيالِ الطفلِ السّاحرِ الذّي يمتــزج فيه ما هو واقعــيٌّ بما هو متخيَّلٌ. أما شخصياتُها فتتمثّل فيها النباهةُ والذكاءُ وحبُ الخيرِ.



اعداد : فئة من الأساتذة
رسوم: ياســر محمود
الغلاف: هيثم فرحــات



RABIE
طبعت في مطابع دار ربيع للطباعة والنشر
المدينة الصناعية - الشيخ نجار - حلب - سوريا

Syria - Aleppo P.o.Box: 7361 Tel: +963 21 2640151 Fax: +963 21 2640153
E-mail: rabie@rabie-pub.com www.rabie-pub.com

